مرکز تحقیقات دارالحدیث

میراث حدیثی شیعه

دفتر هفدهم

به کوشش

مهدی مهریزی علی صدرایی خویی

بسم الله الرحمن الرحیم

پژوهشکده علوم و معارف حدیث؛ ٦

مهریزی، مهدی، ۱۳۴۱ ـ ، گردآورنده.
میراث حدیث شیعه: دفتر هفدهم /به کوشش مهدی مهریزی و علی صدرایی خویی. ـ قم: دار الحدیث، ۱۳۸۶.
۵۷۰ ص. (پژوهشکده علوم و معارف حدیث؛ ۶)
چاپ اوّل : ۱۳۸۶.

ISBN : 978 - 964 - 493 - 286 - 1

کتابنامه به صورت زیرنویس.
۱. حدیث شیعه ـ مجموعه‌ها. ۲. احادیث شیعه ـ مجموعه‌ها. الف. صدرایی خویی، علی، ۱۳۴۲ ـ ، گردآورندهٔ همکار. ب. عنوان.
۹م۹م/۴/۱۰۶ BP

میراث حدیث شیعه / ۱۷

به کوشش : مهدی مهریزی و علی صدرایی خویی

تحقیق: مرکز تحقیقات دارالحدیث
امور اجرایی: مهدی سلیمانی آشتیانی
ویراستار: قاسم شیرجعفری
صفحه‌آرایی: سید علی موسوی‌کیا

ناشر: سازمان چاپ و نشر دار الحدیث
چاپ: اول / ۱۳۸۶
چاپخانه: دارالحدیث
شمارگان: ۱۰۰۰
قیمت: ۶۰۰۰ تومان

سازمان چاپ و نشر

دفتر مرکزی: قم، میدان شهدا، خیابان معلم، نبش کوی ۱۲ پلاک ۱۲۵ تلفن: ۷۷۴۰۵۲۳ ۰۲۵۱ / فاکس: ۷۷۴۰۵۷۱ ۰۲۵۱
ص.پ ۴۴۶۸ / ۳۷۱۸۵
نمایشگاه و فروشگاه دائمی علوم حدیث (قم، خیابان معلم): ۷۷۴۰۵۴۵ ۰۲۵۱
فروشگاه شماره «۲» (شهر ری، حرم حضرت عبدالعظیم حسنی علیه‌السلام صحن کاشانی) تلفن: ۵۵۹۵۲۸۶۲
فروشگاه شماره «۳» (مشهد مقدس، چهارراه شهدا، ضلع شمالی باغ نادری، مجتمع فرهنگی تجاری گنجینهٔ کتاب، طبقهٔ هم‌کف) تلفن: ۳ ـ ۲۲۴۰۰۶۲ ۰۵۱۱
فروشگاه شماره «۴» (مشهد مقدس، میدان تختی، خیابان شهید اسدالله زاده، نرسیده به چهار راه پل خاکی، دست چپ، ساختمان کوثر) تلفن: ۸۴۲۶۳۳۲

http://www.hadith.net
hadith@hadith.net

ISBN : 978 - 964 - 493 - 286 - 1

* کلیه حقوق چاپ و نشر برای ناشر محفوظ است *

9789644932861

الأربعون الودعانية

(أربعون حديثاً من أربعين خطبة لرسول الله ﷺ)

ابو نصر محمد بن على موصلى، ابن ودعان (٤٩٤ ق)

تحقيق: سيّد محمّد جواد حسينى جلالى

التمهيد

ابن وَدْعان

هو محمد بن علي بن عبيد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان بن وَدْعان الموصلي، أبو نصر قاضي الموصل. ولد في ليلة النصف من شعبان من سنة ٤٠١ ق، وتوفي سنة ٤٩٤ ق عقيب رجوعه من بغداد.[١]

قول المؤرّخين فيه

ذكره ابن حجر في لسان الميزان قائلاً:

محمد بن علي بن ودعان القاضي أبو نصر الموصلي، صاحب تلك الأربعين الودعانية الموضوعة، ذمّه أبو طاهر السلفي وأدركه وسمع منه وقال: هالك متهم بالكذب.

قلت: مات سنة أربع وتسعين وأربعمئة في المحرّم بالموصل عقيب رجوعه من بغداد، عن اثنتين وتسعين سنة.

روى عن عمّه أبي الفتح أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن صالح بن

---

١. انظر: ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٦٥٧؛ لسان الميزان، ج ٥، ص ٣٠٥؛ الأعلام للزركلي، ج ٦، ص ٢٧٧؛ كشف الظنون، ج ١، ص ٦٠.

سليمان ابن ودعان ومحمد بن علي بن بحشل والحسين بن محمد الصيرفي.[١]

وقال السمعاني في الأنساب:

الودعاني ـ بفتح الواو وسكون الدال وفتح العين المهملتين وفي آخرها النون ـ هذه النسبة إلى ودعان، وهو اسم لجد المنتسب إليه، وهو الحاكم أبو نصر محمد بن علي بن عبيد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان الموصلي الودعاني، من أهل الموصل، ولّي بها الحكومة مدة، وكان فاضلاً، ورواياته عن الثقات مستقيمة، سمع عمَّه أبا الفتح أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن صالح الودعاني، والحسين بن محمد بن جعفر الصيرفي وغيرهما. روى لي عنه أبو الفضل يحيى بن عطاف الموصلي بمكة، وأبو عبد الله الحسين بن نصر بن خميس الجهني بالموصل، وأبو المعمر المبارك بن أحمد بن عبد العزيز الأنصاري ببغداد، وأبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي، وأبو بكر محمد بن محمود الجوهري بنيسابور وغيرهم. وكانت ولادته سنة إحدى أو اثنتين وأربعمئة بالموصل، وتوفّي في شهر ربيع الأوّل سنة ٤٩٤.[٢]

قال عمر كحالة في معجم المؤلفين:

محمد بن ودعان (٤٠١ ـ ٤٩٤ ق) محمد بن علي بن عبيد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان الموصلي، أبو نصر، ابن ودعان، من القضاة والحكام. ولد وحكم وتوفي بالموصل. من آثاره: الأربعون الودعانية، وعوال في الحديث.[٣]

---

١. لسان الميزان لابن حجر، ج ٥، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

٢. الأنساب للسمعاني، ج ٥، ص ٥٨٠.

٣. الأعلام لخير الدين الزركلي، ج ١١، ص ٢٦.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء:

ابن ودعان الشيخ الجليل، قاضي الموصل، أبو نصر محمد بن علي بن عبيد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان، الموصلي. تردد إلى بغداد، وحدث بها في آخر أيامه. قال: ولدت ليلة النصف من شعبان سنة اثنتين وأربعمئة، وذكر أنه من ربيعة الفرس[1]، وأوّل سماعه سنة ثمان وأربعمئة. روى عن عمه أبي الفتح أحمد بن عبيد الله، ومحمد بن علي بن محمد بن بحشل، والحسين بن محمد بن جعفر الصيرفي وغيرهم. حدّث عنه: إسماعيل بن محمد النيسابوري بالحجاز، ومروان بن علي الطنزي بديار بكر، وأبو المعمر المبارك بن أحمد الأنصاري، وأبو عبد الله بن خسرو البلخي، وأبو طاهر السلفي، ووجيه الشحامي، وآخرون. وإنما أوردته هنا لشهرته، وقد ذكرته في الميزان وأنه غير ثقة، ولا مأمون ....[2]

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال:

محمد بن علي بن ودعان القاضي، أبو نصر الموصلي، صاحب تلك الأربعين الودعانية الموضوعة، ذمّه أبو طاهر السلفي، وأدركه، وسمع منه، وقال: هالك متهم بالكذب. قلت: توفي سنة أربع وتسعين وأربعمئة في المحرّم بالموصل عقيب رجوعه من بغداد، عن ثنتين وتسعين سنة. روى عن عمّه أبي الفتح أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان ومحمد بن علي، والحسين بن محمد الصيرفي، قال السلفي: تبيَّن لي حين تصفّحت الأربعين له تخليط عظيم يدلّ على كذبه وتركيبه الأسانيد. وقال هزارست بن عوض:

---

١. هو ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان أخو مضر، لُقّب بربيعة الفرس؛ لأنه أُعطي من ميراث أبيه الخيل، قال ابن عبد البر في الإنباه على قبائل الرواة، ص ٩٦: إن العرب وجميع أهل العلم بالنسب أجمعوا على أن اللباب والصريح من ولد إسماعيل بن إبراهيم ﷺ ربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان، لا خلاف في ذلك.

٢. سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ١٦٤ ـ ١٦٥.

سألته عن مولده، فقال: ليلة نصف شعبان سنة إحدى وأربعمئة، وأول سماعي في سنة ثمان.[١]

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء:

رفاعة الهاشمي، وهو الذي وضع رسائل إخوان الصفافيما يقال، وكان جاهلاً بالحديث، وسرقها منه ابن ودعان، فركّب بها أسانيد، فتارةً يروي عن رجل، عن شيخ ابن رفاعة، وتارةً يدخل اثنين، وعامّتهم مجهولون، ومنهم من يشكّ بوجوده، والحاصل أنها فضيحة مفتعلة، وكذبة مؤتفكة. وقال ابن الجوزي في المنتظم (ج ٩، ص ١٢٧) عن ابن ودعان هذا: قدِم بغداد في سنة ثلاث وسبعين ومعهِ جزء فيه أربعون حديثاً عن عمّه أبي الفتح، وهي التي وضعها زيد بن رفاعة الهاشمي، وجعل لها خطبة، فسرقها أبو الفتح بن ودعان عم أبي نصر هذا، وحذف خطبتها، وركّب على كل حديث شيخاً إلى شيخ الذي روى عنه ابن رفاعة. وقال ابن ناصر: رأيته ولم أسمع منه؛ لأنّه كان متّهماً بالكذب، وكتابه في الأربعين سرقه من زيد بن رفاعة، وزيد وضعه أيضاً، وكان كذّاباً، ألّف بين كلمات قد قالها النبيﷺ وبين كلمات من كلام لقمان والحكماء وغيرهم، وطوّل الأحاديث. وقال السلفي: كان ابن ودعان خرّج على كتاب زيد بن رفاعة كتابه ـ بزعمه ـ حين وقعت له أحاديثه عن شيوخ، فقد أخطأ؛ إذ لم يبيّن ذلك في الخطبة، وإن جاز سوى ذلك، فأطمّ وأعمّ؛ إذ غير متصور لمثله مع نزارة روايته وقلّة طلبه أن يقع له كل حديث فيه من رواية من أورده عنه. وقال السلفي أيضاً: بلغَنا أنه توفي في المحرّم سنة أربع وتسعين وأربعمئة بالموصل.[٢]

وقال ابن الدمياطي في المستفاد من ذيل تاريخ بغداد:

محمد بن علي بن عبيد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان،

١. ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٦٥٧ـ٦٥٨.

٢. سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ١٦٤ ـ ١٦٧.

أبو نصر: من أهل الموصل، وكان يتولى القضاء بها. قدم بغداد مراراً. قال السلفي: ليس بثقة. قرأت بخط أبي الفضل محمد بن ناصر قال: رأيت القاضي بن ودعان لمّا دخل بغداد وحدّث بها ولم أسمع منه شيئاً؛ لأنه كان متهماً بالكذب ـ إلى أن قال: ـ مولده سنة اثنتين وأربعمئة في شعبان بالموصل، وتوفي في محرم سنة أربع وتسعين وأربعمئة.[١]

وقال سبط ابن العجمي في الكشف الحثيث:

محمد بن علي القاضي بن ودعان أبو نصر الآتي صاحب تلك الأربعين الودعانية الموضوعة، ذمه أبو طاهر السلفي وأدركه وسمع منه وقال: هالك متهم بالكذب. قال الذهبي: قال السلفي: تبيَّن لي حين تصفَّحت الأربعين له تخليط عظيم يدل على كذبه وتركيبه الأسانيد. وقال ابن ناصر: رأيته ولم أسمع منه؛ لأنه كان متهماً بالكذب.[٢]

الأربعون الودعانية

قال الحاجي خليفة في كشف الظنون:

الأربعين الودعانية، وهو القاضي أبو نصر محمد بن علي بن عبيد الله بن ودعان حاكم الموصل المتوفى سنة ٤٩٤ جمع فيه أربعين خطبةً، أخذه من أربعين كتاباً.[٣]

وبعض هذه الأحاديث يقوّي بعضها؛ كما قاله العجلوني في كشف الخفاء[٤].

قال العلامة المجلسي في بحار الأنوار:

والأحاديث الأربعون التي رواها ابن ودعان عن السيد، عن عمه، عن

---

١. المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٠ ـ ٢١.
٢. الكشف الحثيث، ص ٢٤٢.
٣. كشف الظنون، ج ١، ص ٦٠.
٤. كشف الخفاء، ج ١، ص ٢٦٦.

الشيخ أبي الحسن بن أبي جرادة، عن القاضي أبي الفتح عبد الجبار بن الحسين، وأخبره أنه سمعها على القاضي أبي نصر محمد بن علي بن عبيد الله بن ودعان.[1]

وفي هامش إكمال الكمال لابن ماكولا، عن البخاري في تاريخه:

... وأبو عبد الله الحسين بن المؤمل بن سليم المقري الموصلي، حدث بها عن أبي نصر محمد بن علي بن عبيد الله بن ودعان، سمع منه القاضي أبو المحاسن عمر الدمشقي، وذكر أنه سمع منه ربيع الآخر من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة. وأحمد بن سليم بن فارس الحربي أبو العباس، حدّث عن عبد الله بن أحمد بن يوسف النجار الحربي، توفي يوم الجمعة سادس جمادى الآخرة من سنة أربع وستمائة، مولده سنة أربع وعشرين وخمسمئة.[2]

السبب في التشكيك في الأربعين الودعانية

نظنّ قوياً أنّ السبب الرئيس في التشكيك في الأربعين الودعانية هو أن ابن ودعان وعمه كانا من الشيعة الذين قاوموا السلطة الأموية والعباسية وأظهروا مساوئهم على رؤوس الأشهاد، كما رووا الكثير في فضائل أهل البيت وحقّانيتهم، وهذا مما لا يستسيغة مَن أُشرب في قلبه حب الأمويين والعباسيين، فلم يجدوا بدّاً من محاربة أفكار بني ودعان وعقائدهم، وليس من سلاح أفضل من التضعيف كي لا تَصغى الآذان الواعية إلى أقوالهم، ولا تميل القلوب إلى عقائدهم، وحيث إنّ هذا لم يكن بالأمر السهل بالنسبة إلى أبي نصر محمد بن علي بن عبيد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان الموصلي، الذي كان قاضياً على الموصل لفترة من الزمن، وكذا بالنسبة إلى عمه، خصوصاً وإنّ

---

١. بحار الأنوار، ج ١٠٤، ص ١٦٦ـ ١٦٧.

٢. إكمال الكمال، ج ٤، ص ٣٣٢ (الهامش).

الأحاديث قد أخذت طريقها إلى الانتشار في أرجاء البلاد؛ وقد رواها عن ابن ودعان محمد الهادي بمصر، وأبو عبد الله البلخي بالعراق، ومروان بن علي الطنزي بديار بكر، وإسماعيل بن محمد النيسابوري بالحجاز، وآخرون[1] فلا محيص سوى اتّهامات أُخرى من قبيل السرقة والتشكيك في السماع، وهذا ما حصل فعلاً بالنسبة إلى أبي نصر محمّد بن علي بن ودعان الموصلي، وعمّه أبي الفتح، وإليك نماذج ممّا رواه ابن ودعان في هذا المجال:

النسخ المخطوطة من الأربعين الودعانية

قد حققنا الأربعين من النسختين المخطوطتين و المصادر المطبوعة؛ على ما يلي:

الأوّل: النسخة المحفوظة بمدرسة النمازية في مدينة خوي من بلاد آذربيجان، برقم ٦٢٩ و قد يتضمن على نصوص الأحاديث كاملة و على شرح لغوي، كتبت ببلدة بخارى سنة ٦٩٩ هـ، وقد رمزناه بـ:«ش».[2]

الثاني: نسخة أرسلها سماحة عَلَم الأعلام السيّد مُحَمَّد حُسَين الحُسَيني الجلالي ـ أدام الله ظلّه الوارف ـ وقد قام بطبعها ملحقة بكتاب تكملة الأحكام للمهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى الحسني (٧٦٤ ـ ٨٤٠ ق)، وكانت النسخة ناقصة الأوّل زهاء أربعة أحاديث.

الثالث: ما أورده الحسن بن أبي الحسن الديلمي في أعلام الدين في صفات المؤمنين (ص ٣٣٦ ـ ٣٣١)، وقد أورد هذه الأحاديث، ناقلاً عن الأربعين لابن ودعان، وقال ما نصه:

يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه ورضوانه، الحسن بن أبي الحسن

---

١. ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٦٥٧ ـ ٦٥٨.

٢. فهرست نسخه‌های مدرسهٔ نمازی خوی، علي صدرائي خوئي، ص ٣٣٩.

الديلمي، أعانه الله على طاعته، وتغمّده برأفته ورحمته: إنّني حيث سمعت عن النبي صلى الله عليه وآله يقول: من حفظ عنّي أربعين حديثاً حشره الله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أُولئك رفيقاً، رغّبني ذلك أن أحفظ مئةً وأربعين حديثاً، أوّلها الأربعون حديثاً التي رواها ابن ودعان، بحذف الإسناد المذكور في كتب الأحاديث.

الرابع: ما أورده العلّامة المجلسي في بحار الأنوار (ج ٧٧، ص ١٧٥ ـ ١٨٩) ناقلاً عن كتاب أعلام الدين في صفات المؤمنين.

الخامس: ما أورده محيي الدين ابن العربي (م ٦٣٨ ق) في الفتوحات المكية (ص ٤٤١ ـ ٤٤٥)، أورد نصوص الأحاديث على نفس الترتيب الموجود في الأربعين الودعانية من دون تصريح بالمصدر، وبإسقاط أربعة أحاديث، وهي بالأرقام: ١٥ و ١٨ و ٣٧ و ٣٨.

و قد حققنا الأصل من النسخة الأوّل والثاني، و الشرح من النسخة الأوّل، و قابلناه بالمصادر المطبوعة و ضبطنا الاختلاف، و ذكرنا في الهامش المصادر الأخرى التي ذكر فيها الأحاديث.

و آخر دعوانا أنّ الحمد للّه ربّ العالمين

تصویر صفحهٔ اوّل از الأربعون الودعانیة، نسخهٔ خطی مدرسهٔ نمازی خوی

والعلز جمع سكرة والسكرات جمع غمرة كالغمرات علزة
قلق وخفة وهلع يصيب الانسان وهو من باب ضرب
يقال بات فلان علزا اى وجعا قلقا والابنام الشجو الهم
والحزن الصارخة المصوتة والويل الحزن وقيل
المشقة من العذاب وهى كلمة ضجر تخاطب بها كل
واقع فى هلكة او عذاب استامر اى طلب الامر ذهل
عنه اى نسيه وغفل عنه النعش سرير الميت اذا كان
عليه الميت فاذا لم يكن عليه الميت فهو سرير رفرف الطائر
اذا حرك جناحيه حول الشى يريد ان يقع عليه يا ولدى
اى يا اولادى لان لفظ الولد يطلق على الواحد وعلى
الجمع خلفه تركه خلفه بعد موته فالمهناة له اى التنعم
والتمتع بذلك المال التبعة الاثم والحمد لله رب العالمين

وقع الفراغ من تسويده
بعون الله وحسن توفيقه
فى اواخر ذى الحجة
سنة تسع وتسعين
وستمائة
فى بلد بخارى

تصوير صفحة آخر از الأربعون الودعانية ،نسخة خطى مدرسة نمازى خوى

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[١]
الحديث الأوّل[١]

عن أنس بن مالك قال: خطبنا رسول الله ﷺ على ناقته العضباء[٢] فقال: أيها الناس، كأنّ الموت فيها على غيرنا كتب، وكأنّ الحق [فيها][٣] على غيرنا وجب، وكأنّ الذين[٤] نشيّع من الأموات[٥] سَفْرٌ[٦] عمّا قليل إلينا راجعون، نبوّؤهم أجداثهم[٧]، ونأكل تراثهم، كأنّا مخلّدون بعدهم، قد نسينا كلّ واعظة، وأمنّا كلّ جائحة[٨] [طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس][٩] طوبى لمن

---

١. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٠٠ ـ ١٠١؛ الفتوحات المكية، ج ٤، ص ٥٤١؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، ج ٤، ص ٣٦٧؛ ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٦٥٨ ـ ٦٥٩.

٢. بالعين المهملة والضاد المعجمة علم لناقته ﷺ، وفي «ش»: «الجدعاء» راجع: الشرح، وفي لسان العرب (ج ١ ص ٦٠٩): العضباء: اسم ناقة النبي ﷺ اسم لها، علم، وليس من العضب الذي هو الشق في الأذن، إنما هو اسم لها سميت به، وقال الجوهري: هو لقبها. قال ابن الأثير: لم تكن مشقوقة الأذن ـ قال: ـ وقال بعضهم: إنها كانت مشقوقة الأذن، والأول أكثر. وقال الزمخشري: هو منقول من قولهم: ناقة عضباء، وهي القصيرة اليد.

٣. من «ش».

٤. في «ش»: «الذي».

٥. في البحار: «وكأنّ ما نسمع من الأموات».

٦. في كتاب العين للخليل الفراهيدي (ج ٧، ص ٢٤٦): السَّفْر: قوم مسافرون وسفار، والأسفار جماعة السفر. وفي النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (ج ٢، ص ٣٧١): السَّفْر: جمع سافر، كصاحب وصحب. والمسافرون جمع مسافر. والسفر والمسافرون بمعنى، ومنه الحديث أنه قال لأهل مكة عام الفتح: يا أهل البلد، صلّوا أربعاً؛ فإنا سَفْر. ويجمع السفر على أسفار.

٧. الأجداث: القبور.

٨. في «ش»: «جائحة». والجائحة: الآفة التي تهلك الثمار وتستأصلها وكلُّ مصيبة عظيمة وفتنة مبيرة جائحة. «مجمع البحرين، ج ٣، ص ٣٤٧».

٩. ما بين المعقوفتين من «ش» والفتوحات المكية لابن العربي، ج ٤، ص ٥٤١.

أنفق ما اكتسبه[١] من غير معصية، وجالس أهل الفقه والحكمة، وخالط[٢] أهل الذلّة والمسكنة[٣]. طوبى لمن ذلّت نفسه، وحسنت خليقته، وصلحت[٤] سريرته، وعزل عن الناس شرّه، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنّة ولم تستهوه[٥] البدعة[٦].

[شرح الأربعين الودعانية]

بسم الله الرحمن الرحيم

حدّثنا الشيخ الأعظم الأجلّ أبو طاهر أحمد بن محمّد بن أحمد السلفي الأصفهاني، قال: قرأت على أبي نصر محمّد بن علي بن عبيد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان [بن] ودعان، الحاكم بالموصل ﷺ، بإسناده المتصل إلى أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ: مَن حفظ على أُمّتي أربعين حديثاً من سنّتي أدخلته يوم القيامة في شفاعتي.

وبإسناده إلى عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: من نقل عنّي إلى من لم يلحقني من أُمّتي أربعين [حديثاً][٧] كُتب في زمرة العلماء، وحشر في جملة الشهداء[٨].

---

١. في «ش» والفتوحات المكية: «مالاً اكتسبه».

٢. في الأصل: خالف، وما أثبتناه من البحار.

٣. المراد أهل التواضع والخشوع.

٤. في «ش»: «وطابت».

٥. في البحار: «لم تشتهره».

«الاستهواء: الاستهامة، واستهوته الشياطين: ذهبت بهواه وعقله. وفي التنزيل العزيز: ﴿كالذي استهوته الشياطين﴾، وقيل: استهوته استهامته وحيرته، وقيل: زينت الشياطين له هواه حيران في حال حيرته. ويقال للمستهام الذي استهامته الجن: استهوته الشياطين. وقال القتيبي: استهوته الشياطين هوت به وأذهبته، جعله من هوى يهوي، وجعله الزجّاج من هوي يهوى أي زينت له الشياطين هواه». (لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٧٣).

٦. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٧٥، عن أعلام الدين. ورواه الديلمي في الفردوس من حديث أنس بن مالك بسند حسن هكذا: «وسعته السنة ولم يعد عنها إلى البدعة».

٧. الزيادة اقتضاها السياق.

٨. أوردهما الشيخ الماحوزي في كتاب الأربعين، ص ٢٦، ولفظ الحديث الثاني: «وحشره».

قال القاضي أبو نصر ﷺ: وقد خرّجت أسانيد لهذه الأخبار وجَمَعتها حتىٰ كملت أربعين حديثاً، وتتبعت السماعات إلىٰ أن صحّت؛ رجاء المثوبة من الله تعالى بحصول الانتفاع بها، والتأدّب بآداب الله تعالى ونبيّه صلوات الله عليه.

[شرح الحديث]

«الجدعاء»: تأنيث الأجدع، وهو المقطوع الأنف أو الأذن أو الشفة أو اليد، والمراد به في الحديث: قطع طرف أذنها.

قوله: «فيها» اي: في الدنيا، «كُتِبَ» أي: قُضي وقدّر.

والمراد «بالحق»: جميع الحقوق الواجبة على الإنسان لله تعالى، أو لعباد الله كالوالدين والولد والزوجة وأولي الأمر والجار والرفيق والصديق وما أشبه ذلك.

ومعناه: إنّا من غاية غفلتنا عن الموت والاستعداد له والتأهُّب للقائه، وإعراضِنا عن أداء الحقوق الواجبة، وتهاوننا وتقصيرنا فيها، كمن لم يُكتب عليه الموت ولم يجب عليه الحقوق.

«نُشيِّع» اي: نتّبع، والتشييع: اتّباع المسافر والجنازة.

«السَّفر» جمع سافِر، وهو المسافر، مثل: صاحب وصَحْب، ومشارب وشرب.

«عمّا قليل» يعني: عن قريب، و«ما» زائدة.

«نبوّؤهم» أي: ننزلهم و نسكنهم أجداثهم قبورهم، جمع جدث وهو القبر.

«التراث»: الميراث، والتاء فيه منقلبة عن واو.

«كلّ واعظ» أي: كلّ آية واعظة، أو كلمة واعظة.

«كلّ جائحة»: أي: كلّ شدّة وآفة مستأصلة للنفس أو للمال.

«طوبىٰ» عند النحويين، فُعلىٰ من الطيب، فقلبت الياء فيه واواً؛ لانضمام ما قبلها، ومعناها: طيب العيش له.

وقيل: طوبىٰ: هي الخير، وأقصى الأُمنيّة.

وقيل: طوبىٰ: اسم الجَنّة، بالهندية.

وقيل: طوبىٰ: شجرة في الجنة.

«الفقه» في اللغة: الفهم، وفي العرف اسم لعِلم الشريعة، وكلا المعنيين صحيح هنا.

«الحكمة»: العلم الديني، وتمام الكلام في الفقه والحكمة تأتي في الحديث الرابع عشر إن شاء الله تعالى.

«الذلّة» و «الذُلّ» بمعنىً واحد، وهو ضدّ: العزّة والعزّ.

«المسكنة»: مصدر المسكين وهو الفقير، وقيل: هو اسوأ حالاً منه، وقيل: هو أحسن حالاً منه.

والمراد بذلّ النفس: تواضعها وانقيادها لصاحبها إلىٰ كلّ خير، وتركها التجبّر والتكبّر.

و«العزّة»: الأخلاق الرديئة.

«الخليقة» و «الخلق» بمعنىً واحد، وهي الطبع.

والجبلّة: السريرة، والسرّ: ما يكتم عن الناس.

والمراد [بقوله:][1] «طابت سريرته»: طيب نيّاته وأفعاله التي يكتمها عن الناس.

«الفضل من ماله»: ما يفضل عما لابدّ منه من الحوائج الأصلية.

و«الفضل من قوله»: هو الكلام فيما لا يعنيه، والكلام الذي يكون واجباً عليه أو مندوباً إليه أو مباحاً يتعلق به مصلحته، وما سوىٰ هذه الثلاثة فهو مما لا يعنيه.

«السنّة»: سيرة النبيّ ﷺ وطريقته في الدين.

ومعنىٰ قوله: «وَسِعَتْه» أي: دخل فيها ولم يخرج عنها.

«ولم تستهوه»: أي: لم تذهب به، يقال: استهواه كذا: إذا هوىٰ به وأذهبه، ومنه قوله تعالى: ﴿كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾[2].

---

١. الزيادة اقتضاها السياق.

٢. سورة الأنعام، الآية ٧٢.

[٢]

الحديث الثاني[١]

عن [خليفة[٢] بن الحصين قال: سمعت][٣] قيس بن عاصم المنقري[٤] يقول[٥]: قدِمتُ على رسول الله ﷺ، في وفد[٦] [من جماعة][٧] بني تميم، فقال لي: اغتسل بماء وسدر، ففعلت، ثم عدت إليه، وقلت[٨]: يا رسول الله، عظنا عظة ننتفع بها. فقال: يا قيس، إنَّ مع العزّ ذلاًّ[٩]، وإنّ مع الحياة موتاً، وإنّ مع الدنيا آخرة، وإنَّ لكل شيء حسيباً، وعلى كل شيء رقيباً، وإنّ لكل حسنة ثواباً، ولكل سيئة عقاباً، وإنّ لكل أجل كتاباً.

وإنّه ـ يا قيس[١٠] ـ لا بدّ لك من قرين[١١] يدفن معك وهو حيٌّ، وتدفن معه وأنت ميت، فإن

---

١. بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ١٧٠ ـ ١٧٢؛ الإصابة لابن حجر، ج ٣، ص ٣٦١.

٢. في الأصل وبحار الأنوار: علقمة، وهو تصحيف، صحته ما في المتن، وهو خليفة بن حصين بن قيس بن عاصم التميمي المنقري، روى عن أبيه حصين بن قيس وجدّه قيس بن عاصم وعلي بن أبي طالب. (انظر: تهذيب التهذيب، ص ١٥٩، رقم ٣).

٣. ما بين المعقوفتين لم يرد في «ش».

٤. هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد المنقري: قال ابن حجر في التقريب (ص ٤٢٦): «صحابي مشهور بالحلم نزل البصرة» انتهى. وترجمه ابن عبد البر في الاستيعاب (ج ٣، ص ٢٢٤)، وقال: قدم في وفد بني تميم على رسول الله ﷺ وذلك في سنة تسع، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: هذا سيد أهل الوبر، وكان ﷺ عاقلاً حليماً مشهوراً بالحلم، وكان قد حرَّم على نفسه الخمر في الجاهلية. ولم نجد ترجمته في كتب أصحابنا رضوان الله تعالى عليهم.

٥. في «ش»: «قال».

٦. واحد الوفد: وافد، وهو الذي يفد عن قوم إلى ملك في فتح أو قضية أو أمر، والقوم أوفدوه. (كتاب العين، ج ٨، ص ٨٠).

٧. ما بين المعقوفتين لم يرد في «ش».

٨. في «ش»: «فقلت».

٩. في الفتوحات المكية: «ومن مواعظه ﷺ: قيس ابن عاصم المنقري روينا من حديث الهاشمي قال رسول الله ﷺ: يا قيس، إنّ مع العزّ ذلاً...».

١٠. الفتوحات المكية: ـ «يا قيس».

١١. في «ش»: «وإنّه لا بد لك يا قيس من قرين...». والقرين: الصاحب المقارن، والجمع: قرناء، ككرماء، ↞ و القرين: المصاحب. (تاج العروس، ج ٩، ص ٣٠٨).

كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ثم[1] لا يحشر[2] إلاّ معك، ولا تحشر إلاّ معه[3]، ولا تسأل إلاّ عنه، [ولا تبعث إلاّ معه][4]. فلا تجعله إلاّ صالحاً؛ فإنّه [إن][5] كان صالحاً لم تأنس[6] إلاّ به، وإن كان فاحشاً[7] لم تستوحش إلاّ منه، وهو عملك[8].[9]

فقال قيس[10]: يا رسول الله، لو نُظم هذا شعراً لافتخرنا[11] به على من يلينا من العرب. فقال رجل من أصحابه يقال له الصلصال[12]: قد حضر فيه شيء يا رسول الله،

---

١. في البحار: -«ثم».

٢. في «ش»: «لا تبعث».

٣. الفتوحات المكية: -«ولا تحشر إلاّ معه».

٤. ما بين المعقوفتين لم يرد في «ش». وفي الفتوحات المكية: «ولا تبعث إلاّ معه، ولا تسأل إلاّ عنه...».

٥. أثبتناه من «ش» والبحار والفتوحات المكية.

٦. في «ش»: «تستأنس».

٧. الفاحش: القبيح.

٨. في «ش» والفتوحات المكية: «فعلك».

٩. إلى هنا ينتهي ما أورده ابن العربي في الفتوحات المكية.

١٠. من هنا إلى آخر الحديث لم يرد في «ش».

١١. في البحار: «شعر لافتخرت».

١٢. هو الصلصال بن الدلهمس بن جندلة بن المحتجب بن الأعزّ، أبو الغضنفر، قال ابن حبّان: له صحبة، وذكر ابن الجزري ما في المتن من إنشاده الشعر في حضرة رسول الله ﷺ انظر: أُسد الغابة، ج ٣، ص ٢٨، وترجمه ابن حجر في الإصابة (ج ٢ ص ١٨٦) قال: قال ابن حبّان: له صحبة، وحكى عن أمالي ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني، عن العتبي، عن أبيه، قال قيس بن عاصم: وفدت مع جماعة من بني تميم فدخلت عليه وعنده الصلصال بن الدلهمس، فقال قيس: يا رسول الله، عظنا عظة ننتفع بها. فوعظهم موعظة حسنة، فقال قيس: أحبّ أن يكون هذا الكلام أبياتاً من الشعر، نفتخر به على من يلينا وندّخرها، فأمر من يأتيه بحسان، فقال الصلصال: يا رسول الله، قد حضرني أبيات أحسبها توافق ما أراد قيس. فقال: هاتها، فقال:

تجنّب خليطاً من مقالك إنما ... قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
ولابدّ بعد الموت من أن تعدّه ... ليوم ينادى المرء فيه فيقبل
وإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن ... بغير الذي يرضى به الله تشغل

«

أفتأذن لي بإنشاده ؟

فقال: نعم. فأنشأ يقول:

تــخيَّر قــريناً مــن فــعالك إنــما ... قـرين الفـتى فـي القـبر مـا كـان يـفعل
فـــلا بـــد للإنســـان مـــن أن يـــعدّه ... ليـــوم يـــنادى المـرء فـيه فـيقبل
فـإن كـنت مشغولاً بشـيء فـلا تكـن ... بـغير الذي يـرضى بـه الله تشـغل[١]
فـما يـصحب الإنـسان مـن بـعد مـوته ... ومـــن قـبله إلاّ الذي كـان يـعمل
ألا إنـــما الإنســـان ضـيف لأهـله ... يـقيم قـليلاً عـندهم ثـم يـرحـل[٢]

↩ وإن كنت مشـغولاً بشـيء فـلا تكـــــن ... بـغير الذي يـرضى بـه الله تشـغل
ولن يصحب الإنسان من قبل مـوته ... ومـن بـعده إلّا الذي كـان يـعمل
ألا إنـما الإنســان ضـيف لأهـله ... يـقيم قـليلاً بـينهم ثـم يرحـل

وعنونه ابن حجر في القسم الأول من الإصابة، وقال: الصلصال بن الدلهمس بن جندلة بـن المـحتجب بـن الأغر بن الغضنفر بن تيم بن ربيعة بن نزار، أبو الغضنفر، قال ابن حبان: له صحبة، حديثه عند ابن الضوء، وقال المرزباني: يقال: إنه أنشد النبيﷺ شعراً، وذكر ابن الجوزي أن الصلصال قدم مع بـني تـميم، وأن النبيﷺ أوصاهم بشيء، فقال قيس بن عاصم: وددت لو كـان هـذا الكـلام شـعراً نـعلمه أولادنـا، فـقال الصلصال: أنا أنظمه يا رسول الله، فأنشده أبياتاً. وأوردها ابن دريد في أماليه، عن أبي حاتم السجستاني، عن العُتبي، عن أبيه، قال: قال قيس بن عاصم: وفدت مع جماعة من بنى تـميم، فـدخلت عـليه وعـنده الصلصال بن الدلهمس، فقال قيس: يا رسول الله، عظنا عظة ننتفع بـها. فـوعظهم مـوعظة حسـنة، فـقال قيس: أحبّ أن يكون هذا الكلام أبياتاً من الشعر، نفتخر به على من يلينا وندخرها، فأمر من يأتيه بحسان، فقال الصلصال: يا رسول الله، قد حضرتني أبيات أحسبها توافق ما أراد قيس، فقال: هاتها، فقال...إلى آخر الأبيات مع اختلاف يسير. (راجع: الإصابة ج ٢ ص ١٨٦ وج ٣ ص ٣٦١، برقم ٤١١٨).

وفي بعض النسخ: قال الصلصال: فأقبلت أفكر...الخ، وهو الصحيح، ولذلك يقول بعد ذلك: فقلت لقيس، ولا يكون القائل إلّا الصلصال، مع ما عرفت من نسخة الإصابة. فقال الصلصال: يا رسول الله، قـد حـضرتني أبيات أحسبها توافق ما أراد قيس فقال: هاتها...

١. في البحار: «بغير الذي ترضي به الله تشغل».

٢. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٧٥، عن أعلام الدين. وفي أعلام الدين وردت الزيادة التالية: وقال العبد الفقير إلى رحمة ربه ورضوانه، الحسن بن أبي الحسن الديلمي ـ أعانه الله على طاعته، وتغمده برأفته ورحمته ـ ↩

[الشرح]

المنقري: منسوب إلى منقر، وهي أبو حيّ من تميم.

قدم فلان على فلان: إذا أتاه من سفره ابتداءً، فإن سافر من عنده ثم رجع قيل: قدم إليه. هذا هو الأصل.

«الوفد» جمع وافد، مثل صاحب وصحب، و «وافد» هو الذي يرد على السلطان رسولاً. هذا أصله.

السدر: شجر النبق، الواحدة: سدرة، وورقها مما يغسل به الرأس. ومعناه: اغتسل بماء وورق سدر، فحذف المضاف، وإنما أمره بالاغتسال لأنّهﷺ وجد منه رائحة كريهة، أو [دلّه][1] على وجوب الغسل بطريق الوحي، وذكر السدر ليستر الحال.

وكلمة «مع» أصلها: المقارنة، وقد جاءت بمعنى بعد؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[2] أي: بعده، وهكذا هو المراد في الحديث.

«الحسيب»: المحاسب والمجازي، فعيل بمعنى مفاعل، كالجليس.

«النديم»: بمعنى المُجالس والمنادم.

- مملي هذه الأحاديث النبوية في المعنى:

تخيّر قريناً من فعالك صالحا ... يعنك على هول القيامة والقبر
ويسعى به نوراً لديك ورحمة ... تعمّك يوم الروع في عرصة الحشر
وتأتي به يوم التغابن آمنا ... أمانك في يمناك من روعة النشر
فما يصحب الإنسان من جل ماله ... سوى صالح الأعمال أو خالص البر
بهذا أتى التنزيل في كل سورة ... يفضّلها ربّ الخلائق في الذكر
وفي سنة المبعوث للناس رحمة ... سلام عليه بالعشي وفي الفجر
حديث رواه ابن الحصين خليفة ... يحدّثه قيس بن عاصم ذو الوفر

وفي آخره قال: يجوز في النحو عند الكوفيين ترك صرف ما لا ينصرف ذو الوفر، وفي هامش أعلام الدين ورد: «كذا في الأصل».

١. الزيادة اقتضاها السياق.

٢. سورة الشرح، الآية ٥.

و«الحسيب» أيضاً: الكافي، فعيل بمعنى فاعل، كالعليم والرحيم بمعنى العالم والراحم، معناه: وإنّ لكل شيءٍ من الأقوال والأفعال من يحاسب عليه و يجازي، وهو الله تعالى.

«وإنّ لكل موجود كافياً» وهو الله تعالى يكفيه كل ما يحتاج إليه.

«الرقيب»: الحافظ.

«وإنّ لكل أجل كتاباً»، معناه: لكل أجل من آجال الخلق كتاب عند الله. وقيل: معناه: لكل أجل قدّره الله تعالى لجميع الأشياء ولكل أمر قضاه كتاب أثبت فيه.

«لابدّ» أي: لا فراق، وقيل: لا عوض.

«القرين»: المصاحب.

قوله: «وهو حي» يعني إنّه يكون حيّاً حال دفنه مع الإنسان، لاكسائر القرناء الذين يُدفنون معه، فالواو واو الحال.

وأراد بحياته: كونه نافعاً أو ضارّاً، وهاتان الصفتان ليستا من صفات القرين الميّت، ولهذا قال في صفته: «أكرمك» و «أسلمك»، وأراد بالكرم: العمل الصالح، وباللئيم:[1] العمل السيّئ.

«أسلمك» أي: ترك عونك ونصرك.

«آنس به»، أي: سكن واطمأنّ.

و«استوحش منه»، أي: نفر واهتمّ به.

«الفاحش»: كلّ أمر جاوز حدّه.

---

١. كذا في النسخة، ولعل الصحيح: اللؤم.

[۳]

الحديث الثالث[1]

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم جمعة[2] فقال: يا أيها الناس[3]، توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشتغلوا[4]، وأصلحوا[5] الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا، وأكثروا من[6] الصدقة تُرزقوا، وأمروا بالمعروف تحصنوا[7]، وانهوا عن المنكر تنصروا[8].

يا[9] أيها الناس، إنّ أكيسكم أكثركم ذكراً للموت[10]، وإنّ أحزمكم[11] أحسنكم استعداداً له[12].

ألا، وإنّ من علامات العقل: التجافي[13] عن دار الغرور، والإنابة[14] إلى دار الخلود، والتزوّد

---

١. روي هذا الحديث أو مقاطع منه مع اختلاف في الألفاظ في الكتب التالية: أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ٣٣٣؛ بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٧٦؛ الفتوحات المكية، ج ٤، ص ٥٢١ و ٥٤١.

٢. في «ش»: «الجمعة».

٣. في البحار: «أيها الناس».

٤. في «ش» والفتوحات المكية: «تشغلوا».

٥. في «ش» والفتوحات المكية: «وصلوا».

٦. لم ترد «من» في «ش» والفتوحات المكية.

٧. في الفتوحات المكية: «تخصبوا».

٨. في البحار: «وانتهوا عن المنكر تنصروا».

٩. لم ترد «يا» في «ش».

١٠. في «ش»: «للموت ذكراً».

١١. في الفتوحات المكية: «إنّ أكيسكم أكثركم للموت ذكراً، وأحزمكم»، والحازم: الذي يظبط أمره ويحكمه ويأخذ فيه بالثقة، وفي تاج العروس (ج ٨، ص ٢٤٥): الحزم في الأمور، وهو الأخذ بالثقة، من الحزم، وهو الشد بالحزام والحبل استيثاقاً من المحزوم.

١٢. الفتوحات المكية: - «له»، وفي «ش»: «له استعداداً».

١٣. أي التباعد والميل والارتفاع.

١٤. الإنابة: الإقبال والرجوع مرّةً بعد أُخرى.

لسكنى[١] القبور، والتأهّب[٢] ليوم النشور[٣].

[الشرح]

رجل أدرد، ليس في فمه سن [فهو][٤] بيّن الدرد، وأبو الدرداء: كنية له.

«بادروا» أي: سارعوا، «قبل أن تشغلوا» يعني: قبل أن يشغلكم عنها شاغل من مرض أو غرض أو نحوهما، ونظيره في قوله ﷺ في الحديث الحادي [و] العشرين: «ومن فراغك لشغلك».

و«الذي بينهم و بين ربهم» هو الدين وأحكامه.

والمراد بوصله: القيام به كما أُمروا.

«وأكثروا الصدقة ترزقوا»، مصداقه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[٥]، والمراد به الخلف في الدنيا؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

«المعروف»: ماكان مستحسناً عقلاً أو شرعاً.

«تحصنوا» يروىٰ مشدّداً؛ من التحصين، وهو الإحكام، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾[٦] والتحصين ـ أيضاً ـ: إدخال الشيء في الحصن، فمعناه: تُعصموا وتُمنعوا من كيد الشيطان.

ويروىٰ مخففاً؛ من الإحصان، وهو الإعفاف.

ويروىٰ: «تخصّبوا» من الخصب، وهو ضد الجدب، وفيه بُعدٌ؛ لأنّه يقع تكراراً لما قبله، ولا يناسب تفسير مقابله، وهو ما بعده.

---

١. السُكنى، مصدر واسم، وقد تأتي بمعنى الإسكان، كالرقبى بمعنى الإرقاب، في قولهم: داري لك سكنى، منصوبة تقديراً على الحال، على معنى مسكنة أو مسكون فيها. وفي لسان العرب (ج ١٣ ص ٢١٢): وأسكنه إياه وسكنت داري وأسكنتها غيري، والاسم منه السكنى كما أن العتبى اسم من الإعتاب، وهم سكان فلان.

٢. التأهّب: التهيؤ والاستعداد.

٣. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٧٦، عن أعلام الدين.

٤. الزيادة اقتضاها السياق.

٥. سورة سبأ، الآية ٣٩.

٦. سورة الحشر، الآية ١٤.

«تنصروا»، أي: تعاونوا.

«أكيسكم»، أي: أعقلكم.

«أحزمكم»: من الحزم، وهو ضبط الرجل أمره، وأخذه بالثقة. وقيل: الحزم: إحكام الرأي، وأصله من الحزم الذي هو الشدّ.

«التجافي»: النبوّ والارتفاع، ومنه قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾[1].

«الغرور»: الخديعة، وهو طلب الآخرة[2].

و«السعي»: الإنابة والرجوع.

«دار الخلود»: الآخرة.

«التزوّد»: اتّخاذ الزاد وإعداده. والزاد: طعام السفر، و زاد الآخرة: التقوىٰ والعمل الصالح.

«التأهّب»: الاستعداد.

النشور: الحياة بعد الموت، ومنه: يوم النشور: وهو يوم القيامة.

[۴]

الحديث الرابع[3]

عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول في خطبته: **أيها الناس، إنّ لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإنّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، إنّ المؤمن بين مخافتين: يوم قد مضى لا يدري ما الله قاض فيه؟ ويوم قد بقي لا يدري ما الله صانع به؟[4] فليأخذ العبد لنفسه من**

---

۱. سورة السجدة، الآية ۱۶.

۲. أي: التجافي عن دار الغرور هو طلب الآخرة.

۳. بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۱۲۸ رقم ۳۴؛ وسائل الشيعة، ج ۱۵، ص ۲۱۸ ـ ۲۱۹؛ تحف العقول، ص ۲۸ ـ ۲۷؛ تفسير نور الثقلين، ج ۳، ص ۱۷۷؛ تفسير القرطبي، ج ۱۸، ص ۱۱۵؛ الدر المنثور، ج ۶، ص ۲۲۲؛ تاريخ اليعقوبي، ج ۲، ص ۸۹؛ سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي، ج ۸، ص ۲۲۳؛ العهود المحمدية للشعراني، ص ۵۶۰.

۴. في «ش» والفتوحات المكية: «بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه ...».

نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن شبابه لهرمه، ومن صحّته لسقمه، ومن حياته لوفاته[١]، فوالذي نفسي بيده[٢] ما بعد الموت من مستعتب[٣]، ولا بعد الدنيا من[٤] دار إلاّ الجنة أو النار.[٥]

[الشرح]

«المعالم»: جمع معلم، وهو ما جعل علامة وعلماً للطريق والحدود، وقال أبو عبيد: «المعلم: الأثر»، وقيل: هو الأثر الذي يستدلّ به على الطريق، والمراد به في الحديث: أنّ للمؤمنين في الشريعة أعلاماً وحدوداً معيّنة مبيّنة بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ يجب عليهم الانتهاء إليها ـ أي: الوصول ـ من غير أن يتجاوزها المؤمن، ولا يقصر عنها.

و«النهاية»: الغاية.

والمراد بقوله: «وإنّ لكم نهاية فانتهوا إلىٰ نهايتكم»: هو المعنىٰ الأوّل أيضاً، إلّا أنه أكّده بلفظ آخره. وأصل الانتهاء: الوصول إلى النهاية، وهو الغاية.

«المخافة»: الخوف.

«الأجل»: مدّة الشيء، وأراد بالأجل الماضي: ما مضىٰ من العمر، وبالأجل الباقي: ما بقي منه.

وقوله: «لا يدري ما الله صانع فيه»، أي: لا يدري ما فعل الله فيه، هل جعله ذخيرة للمؤمن بسبب ما فعله فيه من الأعمال الصالحة، أو جعله وبالاً بسبب تضييعه إياه في البطالة أو في الأعمال الصالحة[٦].

---

١. في «ش» والفتوحات المكية: «ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت ...».

٢. في «ش» والفتوحات المكية: «فوالذي نفس محمد بيده...».

٣. المستعتب: طلب العتبى أي الاسترضاء، والمراد أن بعد الموت لا يكون ما يوجب الرضا؛ لأنّ زمان الأعمال قد انقضى وحُتِم ديوانها، ولعلّ أصل العتبى الرضا والفرح من الرجوع عن الذنب والإساءة، وهذا المعنى لا يمكن الوصول إليه إلّا في دار الدنيا وقبل الموت، فليس بعد الموت من استرضاء بهذا المعنى. استعتبه أي طلب منه العتبى أي استرضاه، يعني: ليس بعد الموت من استرضاء.

٤. لم ترد «من» في «ش».

٥. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٧٧، عن أعلام الدين.

٦. كذا في النسخة، ولعل الصحيح «الطالحة» أو «غير الصالحة».

وقوله: «لا يدري ما الله قاضٍ فيه»، أي: لا يدري هل يقضي عليه فيه بالسعادة، ويوفّقه للطاعات، ويعصمه عن المعاصي، أو يقضي عليه فيه بالشقاوة ويخذله، فيقع في المعاصي.

«فليأخذ العبد من نفسه لنفسه»، أي: فليكفّ نفسه مشاقّ العبادات وترك الشهوات؛ ليتضاعف بها النعيم والراحة في دار الآخرة.

«الشبيبة» و «الشباب»: الحداثة، وهو ضدّ الشيب.

و«الهرم»: الكبر.

«المستعتب»: موضع الاستعتاب، والاستعتاب -أيضاً-: الاستقالة والاسترضاء، وهو طلب الرضا والعفو، يقال: استعتبته فأعتبني، أي: استرضيته فأرضاني، أي: فرضي عنّي، واستقلته فأقالني، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾[1] أي: وإن يسترضوا أو يستقيلوا فما هم من المرضيين ولا من القالين، فمعنى الحديث: فما بعد الموت موضع الاسترضاء ولا موضع استقالة.

ويحتمل أن يكون المستعتب مصدراً بمعنى الاستعتاب، و«مِن» زائدة للتأكيد في قوله: «[من] مستعتب».

[۵]

الحديث الخامس[2]

عن أبي سعيد الخدري، قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال[3] في خطبته: **أيها الناس، إنّه[4] لا [خير في العيش][5] إلاّ لعالم ناطق، أو مستمع واع.**

---

۱. سورة فصلت، الآية ۲۴.

۲. بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۱۳۴-۱۳۵؛ كنز العمال، ج ۲، ص ۲۸۸-۲۸۹؛ تفسير العياشي، ج ۱، ص ۲-۳.

۳. كذا في «ش»، وفي غيرها: «قال».

۴. «أيها الناس إنّه» من «ش» فقط.

۵. أثبتناه من «ش» والفتوحات المكية، وفي بحار الأنوار وأعلام الدين: «لا عيش إلّا ...».

أيها الناس، إنّكم في زمان هدنة[١]، وإنّ السير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار كيف يبليان كل جديد! ويقرّبان كل بعيد! ويأتيان بكل موعود!

فقال[٢] له المقداد: يا نبيَّ الله، وما الهدنة[٣]؟

فقال ﷺ: دار بلاء وانقطاع، فإذا التبست عليكم الأُمور كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفَّع، وصادق[٤] مصدق، من[٥] جعله[٦] أمامه قاده إلى الجنة، و[٧] من[٨] جعله خلفه ساقه إلى النار، و[٩] هو أوضح دليل إلى خير سبيل، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل.[١٠]

[الشرح]

الضمير في قوله: «إنّه» ضمير الشأن والأمر، أي: إنّ الشأن والأمر.

«العيش»: الحياة.

«الواعي»: الحافظ، وإنما حَصَر النبيّ ﷺ الخير في الحياة لهذين الرجلين؛ لأنّ من عداهما إمّا ناطق جاهل أو مستحفظ غير حافظ، وكلاهما خاسر؛ أحدهما بنطقه عن جهل، والآخر بتضييع أوقاته.

وأصل النطق: صوت يُفهم منه المعنىٰ، ومنه: منطق الطير، ولا يقال لكلام الله

---

١. الهدنة: المصالحة والدعة والسكون، ومنه الهدنة لتوقيف الحرب إلى حين بأمر الولاة.

٢. هنا أوّل الموجود من «خ».

٣. في الفتوحات المكية: «وما الهدنة يا رسول الله...».

٤. في «خ»: «وشاهد».

٥. في بحار الأنوار: «ومن».

٦. في الفتوحات المكية: «وشاهد مصدق فمن جعله أمامه ...».

٧. لم ترد «و» في «خ».

٨. في «ش»: «فمن».

٩. في الفتوحات المكية: ـ «و».

١٠. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٧٧، عن أعلام الدين. وفي الفتوحات المكية: + «وإن العبد عند خروج نفسه وحلول رمسه يرى جزاء ما أسلف وقلة غناء ما خلف، ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه»، وهذا هو المقطع الأخير من الحديث الحادي عشر.

تعالى منطق؛ لأنّه منزّه عن الصوت.

وأصل الوعي: حفظ القلب، وقوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[1] مَجاز، تقديره: وتسمعها أذن سامعة فيعيها قلب واعٍ.

«الهدنة» ـ في اللغة ـ: الصلح، والهدنة ـ أيضاً ـ: السكون، والمراد بها في الحديث: أحد هذين المعنيين مجازاً بطريق المشابهة، كما فسّرها رسول الله ﷺ.

قوله: «وإن السير بكم سريع» يعني: إن الليالي والأيام تسير بالإنسان إلى الآخرة، وهو غافل عن ذلك، كما قال بعض الحكماء: «مثل العبد في عمره مثل رجل في سفينة تسير وهو قاعد».

«يبليان»: يخلقان، وقد نظم ابن دريد هذا المعنى، فقال:

إنّ الجديدين إذا ما استوليا ... على جديد أدنياه للبلى[2]

---

١. سورة الحاقة، الآية ١٢.

٢. من قصيدة له، وقد ترجم له الحر العاملي في أمل الآمل (ج ٢، ص ٢٥٦، رقم ٧٥٩) فقال: «الشيخ أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي. عالم فاضل أديب شاعر نحوي لغوي، له كتب ومؤلفات، منها: كتاب الجمهرة في اللغة كبير، وله ديوان شعر. وقد عدّه ابن شهرآشوب من شعراء أهل البيت عليهم السلام المجاهرين، ومن شعره قوله:

إذا زجرت لجوجاً زدته علقا ... ولجت النفس منه في تماديها

فعد عليه إذا ما نفسه جمحت ... باللين منك فإنّ اللين تنبيها

وقوله:

أهوى النبيّ محمداً ووصيه ... وابنيه وابنته البتول الطاهرة

أهل العباء فإنّني بولائهم ... أرجو السلامة والنجا في الآخرة

أرجو بذاك رضى المهيمن وحده ... يوم الوقوف على ظهور الساهرة

وله مقاطيع محبوكة الطرفين، وقصيدة في المقصور والممدود، وله المقصورة المشهورة طويلة أكثر من مئتي بيت، وفيها حِكَم وآداب لطيفة، منها:

إذا ذوي الغصن الرطيب فاعلما ... أنّ قُصاراه نفاد وتوى

رضيت قسراً وعلى القسر رضى ... من كان ذا سخط على صرف القضا

إن الجديدين إذا ما استوليا ... على جديد أدنياه للبلى

←

«والجديدان»: الليل والنهار.

«البلاء»: الاختبار بالنعمة أو بالمكروه، قال الله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾[1]، يبتلي شكر العبد بالنعمة، و يبتلي صبره بالشدّة.

قوله في تفسير الهدنة: «إنها دار بلاء وانقطاع» فيه حذف مضاف، تقديره: هي سكنىٰ دار بلاء وانقطاع، أو سكون دار بلاء وانقطاع، شبّه مساكنها لأهلها أو سكونها عن أهلها لهم مدّة حياتهم بمدّة الصلح مع العدوّ، أو بمدّة سكون ما من شأنه الحركة؛ فإنّها مدّة لا يكون لها دوام و لا ثبات، كذلك الدنيا.

والمراد بالانقطاع: انقطاع الدنيا بموت أهلها وخرابها في آخر الزمان، أو انقطاع أهلها عن بلوغ آمالهم وأمانيهم بسبب الموت.

«التبست»: اختلطت واشتبهت.

«القطع» بفتح الطاء، جمع قطعة ـ بسكون الطاء ـ القطعة[2]، وقد قرئ بهما قوله

خير النفوس السائلات جهرة ... على ظباة المرهفات والقنا
والحمد خير ما اتّخذت جنّة ... وأنفس الأذخار من بعد التقى
والناس كالنبت فمنهم رائق ... غضّ نضير عوده مرّ الجنى
ومنه ما تقتحم العين فإن ... ذقت جناه انساغ عذباً في اللّها
والشيخ إن قوّمته من زيغه ... لم يقم التثقيف منه ما التوى
كذلك الغصن يسير عطفه ... لدنا شديد غمزه إذا عسا
مَن ظلم الناس تحاموا ظلمه ... وعزّ فيهم جانباه واحتمى
لا ينفع اللب بلا جدٍّ ولا ... يحطُّك الجهل إذا الجدّ علا
من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما ... راح به الواعظ يوماً أو غدا
من لم تفده عبراً أيّامه ... كان العمى أولى به من الهدى
من لم يقف عند انتهاء قدره ... تقاصرت عنه فسيحات الخطا
والناس ألف منهم كواحد ... وواحد كالألف إن أمر عنى
واللوم للحرّ مقيم رادع ... والعبد لا يردعه إلّا العصا

وقد طبعت هذه القصيدة مشروحة في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٠ هق.

١. سورة الاعراف، الآية ١٦٨.

٢. كذا في النسخة.

تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا﴾[٢].

و أراد بالأُمور الملتبسة: أُمور الدين التي تلتبس على الناس بسبب حدوث الاختلافات واختلاط البدع والأهواء بالسنة.

«عليكم بالقرآن» أي: الزموه وتمسّكوا به، واتّبعوه في كلّ أمر التبس عليكم.

«المشفَّع» بفتح الفاء: المقبول الشفاعة، والمراد بذلك: أنّه يَشفع يوم القيامة في كلّ من آمن به واتّبعه.

قوله: «مصدّق» يروى بفتح الدال وكسرها، ومعنى الفتح: أنّه بسبب إعجازه شاهد للنبيّ ﷺ بصحّة نبوّته ورسالته، والمؤمنون مصدِّقون له في هذه الشهادة.

ومعنى الكسر: أنّه شاهد على سائر الأُمم الماضية، «مصدّق» بسائر الكتب المنزلة قبله، كما قال الله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[٣].

«أمامه» أي: قدّامه، والمراد بجعله أمامه: اتّباعه والاقتداء به، والمراد بجعله خلفه: الإعراض عنه وترك العمل به، كما قال الله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾[٤].

«السبيل»: الطريق، وكلاهما يذكَّر ويؤنَّث.

«من قال به صدق»، إن كانت الرواية بالتخفيف وفتح الصاد فمعناه: أنّ من قال قولاً محتجّاً به متمسّكاً في إثباته، كان قولاً مصحَّحاً صادقاً.

وان كانت الرواية بالتشديد وضمّ الصاد، فمعناه: صدَّقه الناس، أي: حكموا بصدقه.

«أُجر» أي: أعطاه الله الأجر، وهو الثواب.

---

١. سورة هود، الآية ٨١.
٢. سورة يونس، الآية ٢٧.
٣. سورة البقرة، الآية ٩٧.
٤. سورة آل عمران، الآية ١٨٧.

[٦]

الحديث السادس[١]

عن [نافع، عن][٢] ابن[٣] عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: لا يكمل[٤] عبد[٥] الإيمان بالله حتّى تكون فيه خمس خصال: التوكُّل على الله، والتفويض إلى الله، والتسليم لأمر الله، والرضا بقضاء الله، والصبر على بلاء الله[٦]، إنَّه من أحبَّ في الله، وأبغض في الله[٧]، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان.[٨]

[الشرح]

قال أهل الحقيقة: «التوكُّل» هو الثقة بما عند الله تعالى، واليأس عمّا في أيدي الناس.

وقيل: هو البقاء مع الله تعالى بلا علاقة. وتفسير العلاقة: ما ذكره يحيىٰ بن معاذ الرازي في قوله: «لبسُ الصوف حانوت، والكلام في الزهد حرفة، وصحبة القوافل تعرّض، وهذه كلّها علاقات».[٩]

---

١. الموضوعات، ج ١، ص ١٣٦؛ الفتوحات المكية، ج ٢، ص ٥٤١.

٢. لم ترد في «ش».

٣. لم ترد «ابن» في «خ».

٤. في الفتوحات المكية، ج ٢، ص ٥٤١: «ومما ورد عنه ﷺ في خصال الإيمان ما حدّثنا به أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي بالمسجد الأزهر بعين الخيل من مدينة فاس، سنة إحدى وتسعين وخمسمئة من لفظه وأنا أسمع، وأسنده إلى رسول الله ﷺ معنعناً، قال: قال رسول الله ﷺ: لا يكمل...».

٥. في «خ»: «عبداً»، وفي «ش»: «العبد».

٦. العبارة في «خ» هكذا: «والتفويض إلى الله، والصبر على بلاء الله، والتسليم لأمر الله، والرضا بقضاء الله».

٧. في «خ» و «ش»: «من أحبّ لله وأبغض لله».

٨. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٧٧، عن أعلام الدين. وفي الفتوحات المكية زيادة: «وقد ثبت عنه ﷺ أنّه قال الإيمان بضع وسبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلاّ الله».

٩. لم نقف عليه.

وقد مدح الله تعالى التوكُّل وحثّ عليه فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾[1]، وقال: ﴿وَعَلَى ٱللهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]، وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[3]، وقال النبي ﷺ: التوكُّل نصف العبادة[4]، وقال أيضاً: لو توكَّلتم على الله حق توكُّله لرُزقتم كما يرزق الطير؛ تغدو خماصاً وتروح بطاناً[5].

و«التفويض»: أن لا يَختار العبد شيئاً خلاف ما يختار [الله][6] له.

و«التسليم»: الانقياد، وهو إظهار العبودية، وكذا الإسلام والاستسلام.

وقيل: التفويض يكون قبل نزول القضاء، والتسليم يكون بعده، وقد مدح الله تعالى أنبياءه بالتفويض والتسليم، فقال في حقّ إبراهيم ؑ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[7]، وقال في حقّ رجل من قوم موسى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللهِ﴾[8].

وقيل: التوكل بدأة وهو صفة المؤمنين، والتسليم واسطة وهو صفة الأولياء، والتفويض نهاية وهو صفة الخواصّ». و«الرضا» هو سرور القلب بمُرّ القضاء.

وقيل: هو أن يتحقّق العبد أنّ الله عدل في قضائه غير متّهم في حكمه.

والصبر: ترك الشكوىٰ من ألم البلوى، وقيل: هو تجرُّع المرارة من غير تعبيس.[9]

وقيل: هو الثبات على أحكام الكتاب والسنّة.

وفضيلة الصبر ومدح الصابرين أشهر من أن يحتاج إلى بيان، ولو لم يَرد في

---

۱. سورة الطلاق، الآية ۳.

۲. سورة المائدة، الآية ۲۳.

۳. سورة آل عمران، الآية ۱۵۹.

۴. لم نقف عليه، والذي في غرر الحكم (ح ۵۸۰۲) عن النبيّ ﷺ: «صلاح العبادة التوكُّل».

۵. التحفة السنية، ص ۸۱؛ ومستدرك الوسائل، ج ۱۱، ص ۲۱۷، ح ۱۲۷۸۹.

۶. الزيادة اقتضاها السياق.

۷. سورة البقرة، الآية ۱۳۱.

۸. سورة غافر، الآية ۴۴.

۹. قاله الفضيل كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ۱۱، ص ۲۰۲.

مدحهم إلّا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢] لكان فيهما كفاية.

استكمل الشيء أي: استتمّه وأكمله، وكمّله أي: أتمّه، وإنّما كان ذلك علامة كمال الإيمان لأنّ الأفعال لا تخلص لله تعالى إلّا عند خلوص الإيمان وقوّة اليقين، فكلاهما دليل على كمال الإيمان.

[٧]

الحديث السابع[٣]

عن أبي هريرة، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته: يا[٤] أيّها الناس، إنّ العبد لا يُكتب من[٥] المسلمين حتى يَسلم الناس من يده ولسانه، ولا ينال درجة المؤمنين حتى يأمن أخوه[٦] بوائقه[٧]، و[٨] جاره بوادره[٩]، ولا يعدّ من المتّقين حتّى يدع ما لا بأس به حذر ما به البأس[١٠].

---

١. سورة البقرة، الآية ١٥٣.

٢. سورة الزمر، الآية ١٠.

٣. روي هذا الحديث أو مقاطع منه مع اختلاف في الألفاظ في الكتب التالية: بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٧٨؛ أعلام الدين في صفات المؤمنين للديلمي، ص ١٤٤؛ الفتوحات المكية، ج ٤، ص ٥٤١.

٤. في «ش» والبحار: ـ «يا».

٥. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: «في».

٦. في «ش»: «جاره».

٧. البوائق: جمع بائقة، وهي الداهية والشر. (القاموس المحيط، ج ٤، ص ٢١٥ «بوق»).

٨. في «ش»: «أو قال».

٩. في «خ»: «موارده»، وفي الفتوحات المكية: «ولا ينال درجة المؤمنين حتّى يأمن جاره بوائقه»، والبوادر: جمع بادرة، وهي ما يصدر عن الإنسان في حدّة الغضب من قول أو فعل. (القاموس المحيط، ج ٣، ص ٣٦٩ «بدر»).

١٠. في «ش» والفتوحات المكية: «حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به البأس». وفي البحار: «حذاراً عما به البأس»، وفي الأعلام: «حذار ما به البأس».

أيّها الناس[١]، إنه من خاف البيات[٢] أدلج[٣] [في المسير[٤]][٥]، ومن أدلج [في][٦] المسير وصل[٧].
وإنّما تعرفون عواقب أعمالكم[٨] لو قد طويت صحائف آجالكم[٩].
أيها الناس، إنّ نيّة المؤمن خير من عمله، ونيّة الفاسق شرٌّ من عمله.[١٠]

[الشرح]

«البوائق»: جمع بائقة، وهي في اللغة: الداهية، أي: الأمر العظيم. وقال قتادة: «المراد بها في الحديث: ظلمه»[١١]، وقال الكسائي: المراد غوائله وشرّه.[١٢]

«البوادر»: جمع بادرة، وهي الحدّة وما يبدو من الإنسان عندها من قول أو فعل أو قول مستقبح.

«البأس»: العذاب، والبأس أيضاً: الشدّة، وقولهم: لا بأس بكذا، أي: لا مبالاة به.

«الحذار»: المحاذرة، وهي: التحرُّز والتيقّظ.

«البيات»: وقوع البلاء من الأعداء ليلاً.

«أدلج» ـ بتخفيف الدال ـ: سار من أوّل الليل، وادّلج ـ بتشديد الدال ـ: سار من آخر الليل، وهو في الحديث مخفّف؛ لأنّ التخفيف هو المناسب للمعنى. «المسير»

---

١. في البحار: – «أيها الناس».
٢. البيات: الشر الذي يقع في الليل (القاموس، ج ٧، ص ١٤٤ «بيت»).
٣. أدلج: سار أول الليل. (القاموس، ج ٢، ص ١٨٩ «دلج»).
٤. في «ش»: «السير».
٥. ما بين المعقوفتين من «خ».
٦. الزيادة من الفتوحات المكية.
٧. في الفتوحات المكية: «إنه من خاف البيات أدلج، ومن أدلج في السير وصل».
٨. «ش»: + «إذا».
٩. العبارة في «خ» هكذا: «وإنما تعرفون عواقب أعمالكم وقد طويت صحائفكم حالكم».
١٠. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٧٧، عن أعلام الدين.
١١. لم نقف عليه.
١٢. لم نقف عليه.

والسير واحد، وهو قطع المسافة. عاقبة كلُّ شيءٍ: آخره. «الصحيفة»: الكتاب، و«الأجل»: مدَّة الحياة.

والمراد بطيّ صحائف الآجال: نفاد الأعمار وفراغها، فعند مشاهدة الموت يتبيّن للإنسان عاقبة عمله، أنّه خير أو شرٌّ. «الفاسق»: الخارج عن الطاعة، وقيل: المراد به في الحديث: المنافق.

قوله: نيّة المؤمن خير من عمله، قيل: ليس المراد به أنّ نيّته للعمل الصالح خير من ذلك العمل لو فعله مقروناً بالنيّة، بل مراده أن نيّته الصالحة المجرَّدة عن العمل خير من عمله المجرَّد عن النيّة، كقوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[1] معناه: خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر؛ لأنّ الشيء لا يكون خيراً من نفسه، ولا من عدّة أمثاله معه.

وقيل: المراد به: إذا عمل عملاً صالحاً مقروناً بالنيّة واجتمعا، كانت النيّة في الفضيلة والشرف خيراً من العمل، كما يتركّب الشيء من جزءين مفردين، أحدهما أشرف من الآخر، كتركّب السكنجبين من السكّر والخلّ، وتركب الإنسان من الجسم والروح، أو من الحيوانية والنطق، وإنّما كانت النيّة أشرف الجزءين لأنّها روح العمل وهو جسمها.

وقيل: إنّما كانت نيّة المؤمن خيراً من عمله؛ لأنّها تحتمل التعدُّد والكثرة في العمل الواحد، فيتضاعف أجر العمل بقدر عدد النيّات، فيتضاعف الأجر فيه، ومثل ذلك لا يتأتّى في العمل، مثاله: من جلس في المسجد بنيّة الاعتكاف، ونيّة انتظار الصلاة، ونية الخلوة والعزلة عن شواغل القلب، ونية زيارة بيت الله تعالى، ونية حفظ الجوارح من المعاصي؛ تعظيماً لبيت الله تعالى وحياء منه، فإنّه لا يكون كمن جلس بإحدى هذه النيّات الخمس.

وقيل: إنّما كانت نية المؤمن خيراً من عمله لأنّ عمله مقيَّد بطاقته ووسعه؛ فإنّه لا يقدر أن يعمل من الأعمال الصالحة إلّا ما يطيقه، بخلاف نيّته للخيرات والأعمال

---

١. سورة القدر، الآية ٣.

الصالحات؛ فإنّه لا يتقيّد بطاقته ووسعه، فإنّه ينوي منها ما يقدر عليه في الحال وينوي ما لا يقدر عليه أيضاً على تقدير حدوث قدرته عليه في المستقبل كما ينوي أن يعتق عبداً أو عبيداً، أو يتصدّق بمال كثير وهو لا يملك شيئاً في الحال، وكما ينوي أنّه يحجُّ ماشياً أو يصلّي كلّ يوم كذا وكذا ركعةً من النافلة قائماً وهو مريض في الحال لا يقدر على القيام، وما أشبه ذلك.

وقيل: إنّما كانت نية المؤمن خيراً من عمله لأنّه لا يدخل فيها الرياء، بل كلُّها إخلاص؛ لأنّها سرّ بين الله تعالى والعبد، ولا يطّلع عليها إلّا الله، بخلاف العمل[1].

---

۱. راجع: فقه الرضا، ص ۳۷۹ و رسائل الشريف المرتضى، ج ۳، ص ۲۳۲ ـ ۲۴۰، في المسألة (۴۱) تحقيقاً حول قول النبيّ ﷺ: نية المؤمن خير من عمله، فقال:

جرى بالحضرة السامية الوزيرية العادلة المنصورة ـ أعلى الله شأنها ومكانها وأدام سلطانها ـ في بعض الكلام فيما روي عن النبيّ ﷺ من قوله: نية المؤمن خير من عمله. فقال: إنّ على هذا الخبر سؤالاً قوياً، وهو أن يقال: إذا كان الفعل إنما يوصف بأنّه خير من غيره، إذا كان ثوابه أكثر من ثوابه، فكيف يجوز أن يكون النية خيراً من العمل؟، ومعلوم أنّ النيّة أخفض ثواباً من العمل، وأنه لا يجوز أن يلحق ثواب النية بثواب العمل. ولهذا قال أبو هاشم: إنّ العزم لابدّ أن يكون دون المعزوم عليه في ثواب وعقاب، وردّ على أبي علي قوله: إنّ العزم على الكفر يجب أن يكون كفراً، والعزم على الكبير لابدّ أن يكون كبيراً؛ بأن قال له: لا يجب أن يساوي العزم والمعزوم عليه في ثواب ولا عقاب. فإن كان هاهنا دليل سمعي يدلّ على أن العزم على الكفر كفر، والعزم على الكبير كبير، صرنا إليه، إلّا أنه لابدّ مع ذلك من أن يكون عقاب العزم دون عقاب المعزوم عليه، وإن اجتمعا في الكفر والكبير.

ووقع من بالحضرة السامية العادلة المنصورة من التقرير كذلك والخوض فيه كل دقيق غريب مستفاد، وهذه عادتها جرى الله تعالى نعمتها في كل فن من فنون العلم والأدب؛ لأنها ينتهي من التحقيق والتدقيق إلى غاية من لا يحسن إلّا ذلك الفن ولا يقوم إلّا بذلك النوع.

وقال بعض من حضر: قد قيل في تأويل هذا الخبر وجهان حسنان.

فقلت له: اذكرهما؛ فربما كان الذي عندي فيه مما استخرجته.

فقال: أحدهما: يجوز أن يكون المعنى: إنّ نية المؤمن خير من عمله العاري من نية.

فقلت: لفظة أفعل لا يدخل إلا بين شيئين قد اشتركا في الصفة، وزاد أحدهما فيها على الآخر. ولهذا لا يقول أحد: إن العسل أحلى من الخل، ولا أنّ النبيّ أفضل من المتنبي، والعمل إذا عري

←

من نية لا خير فيه ولا ثواب عليه، فكيف تفضل النية الجميلة عليه وفيها خير وثواب على كل حال.

وقال: الوجه الآخر: أن يكون نية المؤمن في الجميل خير من عمله الذي هو معصية.

فقلت: وهذا يبطل أيضا بما بطل به الوجه الأوّل؛ لأنَّ المعصية لا خير فيها، فيفضل غيرها عليها فيه.

وقالت الحضرة السامية؛ تحقيقاً لذلك وتصديقاً: هذا هجو لنية المؤمن، والكلام موضوع على مدحها وإطرائها، وأيّ فضل لها في أن يكون خيراً من المعاصي، وإنّما الفضل في أن تكون خيراً مما فيه خير.

فسئلت حينئذ ذكر الوجه الذي عندي، فقلت: لا تحمل لفظة خير في الخبر على معنى أفعل الذي هو للتفضيل والترجيح، وقد سقطت الشبهة. ويكون معنى الكلام: إنّ نيّة المؤمن من جملة الخير من أفعاله، حتى لا يقدر مقدِّر أن النية لا يدخلها الخير والشر، كما يدخل ذلك في الأعمال. فاستحسن هذا الوجه الذي لا يحوج إلى التعسّف والتكلّف اللذين يحتاج إليهما إذا جعلنا لفظة خير معناها معنى أفعل. وانقطع الكلام لدخول الوقت السعيد المختار لدخول البلد ونهوض الحضرة السامية ـ أدام الله سلطانها ـ للركوب، وكان في نفسي أن أذكر شواهد لهذا الوجه، ولواحقَ يقتضيها الكلام. وخطر بعد ذلك ببالي ـ إن شاء الله ـ وجهان سليمان من الطعن إذا حملنا لفظة خير في الخبر على معنى الترجيح والتفضيل، وأنا أذكر ذلك: أما شواهد ما استخرجته من التأويل من حمل لفظة خير على غير معنى التفضيل والترجيح فكثيرة. وقد ذكرت ذلك في كتابي المعروف بالدرر، في تأويل قوله تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ من الكلام على هذا الوجه ما استوفيته، وذكرت قول المتنبي:

أبعد بعدت بياضاً لا بياض له ... لأنت أسود في عيني من الظلم

وأنّ الألوان لا يتعجب منها بلفظ: أفعل، الموضوع للمبالغة، وكذلك الخلق كلها، وإنما يقال: ما أشد سواده، وإن معنى البيت ما ذكره أبو الفتح عثمان بن جني من أنه أراد أنك أسود من جملة الظلم، كما يقال: حرٌّ من الأحرار ولئيم من اللئام، فيكون الكلام قد تم عند قوله: من الظلم. واستشهد ابن جنّي أيضاً على صحّة هذا التأويل بقول الشاعر:

وأبيض من ماء الحديد كأنه ... شهاب بدا والليل داج عساكره

كأنه يقول: وأبيض كأنّ من ماء الحديد، وقلت أنا:

يا ليتني مثلك في البياض ... أبيض من أُخت بني أباض

فهذه خمسة أوجه في نية المؤمن، إذا حقّقت وفهمت تستخرج منها أو من أكثرها علّة كون نية الفاسق شرّاً من عمله، فتأمّل هداك الله وإيّاناً.

﴿ يمكن حمله على ما حملناه عليه بيت المتنبي، كأنه قال: من جملة أُخت بني أباض ومن عشيرتها وقومها، ولم يُرد المبالغة والتفضيل. وهذا أحسن من قول أبي العباس المبرّد ـ لما أنشد هذا البيت وضاق ذرعاً بتأويله على ما يطابق الأُصول الصحيحة ـ أن ذلك محمول على الشذوذ والندران.

فإن قيل: كيف يكون نية المؤمن من جملة أعماله على هذا التأويل، والنية لا يسمى في العرف عملاً، وإنما تسمّى بالأعمال: أفعال الجوارح، ولهذا لا يقولون: عملت بقلبي، كما يقولون: عملت بيدي، ولا يصفون أفعال الله بأنها أعمال؟

قلنا: ليس يمتنع أن يسمّى أفعال القلوب أنها أعمال وإن قل استعمال ذلك فيها؛ ألا ترى أنهم لا يكادون يقولون: فعلت بقلبي، كما يقولون: «فعلت بجوارحي» وإن كانت أفعال القلوب لا تستحق التسمية بالفعلية حقيقة بلا خلاف. وإنما لا تسمّى أفعال الله تعالى بأنها أعمال؛ لأنّ هذه اللفظة تختصُّ بالفعل الواقع من قدرة، والقديم تعالى قادر لنفسه، كما لا نصفه تعالى بأنه مكتسب؛ لاختصاص هذه اللفظة بمن فعل لجر نفع أو دفع ضرر.

ثم لو سلّمنا أن اسم الفعل يختص بأفعال الجوارح، جاز أن يطلَق ذلك على النية مجازاً واستعارة، وباب التجوّز أوسع من ذلك.

وأما الوجهان اللذان خطر ببالي إن قدَّرنا لفظة «خير» في الخبر محمولة على الفاضلة: فأحدهما: أن يكون المراد: نية المؤمن مع عمله خير من عمله العاري عن نية، وهذا مما لا شبهة في أنه كذلك.

والوجه الثاني: أن يريد به: نية المؤمن لبعض أعماله قد تكون خيراً من عمل آخر له لا تتناوله هذه النية. وهذا صحيح؛ لأنّ النية لا تجوز أن تكون خيراً من عملها نفسها، وغير منكر أن يكون نية بعض الأعمال الشاقّة العظيمة الثواب أفضل من عمل آخر ثوابه دون ثوابها، حتى لا يظنّ ظانٌّ أنّ ثواب النية لا يجوز أن يتساوى أو يزيد على ثواب بعض الأعمال.

وهذان الوجهان فيهما على كل حال ترك لظاهر الخبر؛ لإدخال زيادة ليست في الظاهر، والتأويل الأول إذا حملنا لفظة «خير» على خلاف المبالغة والتفضيل مطابق للظاهر وغير مخالف له. وفي هذا كفاية بمشية الله وعونه.

[٨][1]

الحديث الثامن[2]

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من انقطع إلى الله كفاه [الله][3] كل مؤونة[4]، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها، ومن حاول أمراً بمعصية الله [تعالى][5] كان أبعد له مما رجا وأقرب مما اتّقى[6]، ومن طلب محامد الناس بمعاصي الله [تعالى][7] عاد حامده منهم [له][8] ذامّاً، ومن أرضى الناس بسخط الله وكله الله إليهم، ومن أرضى الله بسخط الناس كفاه الله شرَّهم [ومَن أحسن ما[9] بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس][10] ومن أحسن[11] سريرته[12] أصلح الله علانيته، ومن عمل لآخرته كفاه[13] الله أمر دنياه.[14]

[الشرح]

«انقطعَ إلى الله» معناه: اختاره على كل ما سواه، كما يقال: انقطعَ فلان عن المدينة إلىٰ مكة، أي: تَرَكَ المدينة وفارقها واختار مكة عليها، وحقيقته: أنّ الله تعالى

---

١. في «ش»: «الجمعة».

٢. تاريخ بغداد، ج ٧ ص ٢٠٥؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، ج ١ ص ٩٤؛ المعجم الصغير للطبراني، ج ١ ١٥١؛ تفسير ابن كثير، ج ٤ ص ٤٠٦؛ الدر المنثور لجلال الدين السيوطي، ج ٦ ص ٢٣٣.

٣. الزيادة من «ش».

٤. العبارة في «خ» و «ش» والفتوحات المكية هكذا: «كفاه كل مؤونة فيها».

٥. الزيادة من «ش».

٦. في «خ»: «وأقرب مما أبقى».

٧. الزيادة من «ش».

٨. الزيادة من «ش».

٩. في «ش»: «فيما».

١٠. ما بين المعقوفتين لم ترد في «خ».

١١. في «ش»: «أصلح».

١٢. في «خ»: + «و».

١٣. في البحار: «كفى».

١٤. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٧٨، عن أعلام الدين.

قطعه عمّا كان موصولاً به من العلائق، فانقطع هو.

«كفاه الله كلَّ مؤونة» أي: قَضى الله حوائجه، وسدّ مفاقره. وأصل المؤونة: ما لابدّ له منه من القوت والمسكن، ومنه قولهم: مؤونة المرأة على الزوج، ومؤونة الولد على الوالد.

«وكله الله إليها» ـ بالتخفيف ـ أي: تركه معها ولم يُنعِم عليه بالمعونة وكفاية المؤونة، فيكون معذَّباً بالحرص والهوان، معاقَباً بالخيبة والحرمان.

«حاوله»: أراده.

قوله: «كان أبعد له» يعني: كان فعله أبعد ممّا رجا، فاسم «كان» مضمر، وهو فعله. المعنى: أنّه إذا كان يرجو أمراً ويطلبه أو يخافه ويتّقه، فتوسّلَ إلى تحصيله أو إلىٰ دفعه بمعصية الله تعالى، صار بواسطة المعصية وشؤمها أبعد عن مرجوّه، وأقرب إلى مخوفه بالنسبة إلىٰ ما قبل التوسل بالمعصية.

«المحامد»: جمع محمدة، وهي الحمد.

«عاد» هنا بمعنى: صار، فلذلك احتاج إلى خبر، وهو قوله: «ذامّاً». وإذا كان «عاد» بمعنى رجع تمّ بفاعله، ولم يحتجْ إلى خبر، مثال الأوّل: عاد الماء جمداً، أو الرطب تمراً، أي: صار. ومثال الثاني: عاد زيد من سفره، أي: رجع.

«السخط»: ضدّ الرضا.

«السريرة» و «السر»: ما يكتم عن الناس، و «العلانية» ضدّها.

قوله: «ومَن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه» قريب في المعنى من قوله: «ومن انقطع إلى الله كفاه الله كلَّ مؤونة».

[٩]

الحديث التاسع[١]

عن نافع، عن[٢] ابن[٣] عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: رحم الله عبداً تكلَّم فغنم، أو سكت فسلم، إنّ اللسان أملك[٤] شيء للإنسان، ألا وإنَّ كلام العبد[٥] كلّه عليه [لا له][٦]، إلاّ ذكر[٧] الله تعالى، أو أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر، أو إصلاحاً بين المؤمنين[٨].

فقال له معاذ بن جبل ﷺ: يا رسول الله[٩]، أنؤاخذ بما نتكلم به؟[١٠]

فقال: [ثكلتك أُمّك يا معاذ][١١] وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلّا حصائد[١٢]

---

١. روي هذا الحديث أو مقاطع منه مع اختلاف في الألفاظ في الكتب التالية: دعائم الإسلام، ج ٢، ص ٦٦؛ مسند الشهاب لابن سلامة، ج ١، ص ٣٣٩؛ كشف الخفاء، ج ١، ص ٤٢٦؛ الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٢٠؛ أخبار القضاة لمحمد بن خلف بن حيان، ج ٣، ص ٤٧؛ الفتوحات المكية، ج ٤، ص ٥٤٢.

٢. «ش»: ـ «نافع، عن».

٣. «خ»: ـ «ابن».

٤. في «خ»: «أمسك».

٥. في «خ»: «المرء»، وكتب فوقه: «العبد».

٦. الزيادة من «ش».

٧. في الفتوحات المكية: «ذكراً لله».

٨. في البحار: «أو إصلاح بين المؤمنين». وفي «خ»: «أو إصلاح بين مؤمنين». وفي الفتوحات المكية: «أو إصلاحاً بين مؤمنين».

٩. في «خ» زيادة: «ﷺ».

١٠. في البحار: ـ «به».

١١. الزيادة من «ش».

١٢. في «خ»: «حصاد». وفي غريب الحديث لابن سلام (ج ٣ ص ١٨٤): قال أبو عبيد: الحصائد: ما قاله اللسان، وقطع به على الناس. وفي النهاية في غريب الحديث لابن أثير (ج ١ ص ٣٨٠): أي ما يقتطعونه من الكلام الذي لا خير فيه، واحدتها حصيدة، تشبيهاً بما يحصد من الزرع، وتشبيهاً للسان وما يقتطعه من القول بحدّ المنجل الذي يحصد به. وفي لسان العرب (ج ٣ ص ١٥٢): حصائد الألسنة التي في الحديث: هو ما قيل في الناس باللسان وقطع به عليهم. قال الأزهري: وفي الحديث: وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلّا حصائد ألسنتهم؟ أي ما قالته الألسنة، وهو ما يقتطعونه من الكلام الذي لا خير فيه، واحدتها

ألسنتهم؟! فمن أراد السلامة [يوم القيامة][١] فليحفظ ما جرى به لسانه، وليحرس ما انطوى عليه جنانه[٢]، وليُحسن عمله، وليُقصر أمله[٣].

ثم لم تمض إلّا[٤] أيام حتّى نزلت هذه الآية: ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ اَلنَّاسِ﴾[٥].[٦]

[الشرح]

الرحمة من الله تعالى: إرادة الخير، ومن الآدميين: رقّة القلب.

قوله: «تكلّم فغنم»، يعني: تكلّم بخير؛ لأنّ التكلم بخير هو سبب الغنيمة، لا مطلق التكلم.

قوله: «إنّ اللسان أملك شيء للإنسان» معناه: إنّ لسان الإنسان أقهر له وأحكم عليه من سائر أعضائه؛ ألا ترى أنّه يملك حبس بطنه وفرجه ويده ورجله وسمعه وبصره عن المحرَّمات يوماً وأياماً في البعض، ولا يملك حبس لسانه عن الغيبة وعن الكلام فيما لا يعنيه بعض يوم، إلا بغاية التكلّف؟ ولهذا قيل: مقتل الإنسان بين فكّيه.

وتفسير «المعروف والمنكر» سبق في شرح الحديث الثالث.

«كبّه» أي: ألقاه على وجهه، يكبّه كبّاً فأكبّ هو، أي: سقط على وجهه، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ﴾[٧]، وهذا من النوادر أن [تقول]: فعلت

↩ حصيدة تشبيهاً بما يحصد من الزرع إذا جذ، وتشبيهاً للسان وما يقتطعه من القول بحد المنجل الذي يحصد به.

١. الزيادة من «ش».

٢. في «خ»: «ختانه».

٣. إلى هنا ينتهي ما أورده ابن العربي في الفتوحات المكية.

٤. في «خ»: – «إلّا».

٥. سورة النساء، الآية ١١٤. والنجوى: اسم مِن ناجاه مناجاة ونجاء: إذا سارّه.

٦. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٧٨، عن أعلام الدين.

٧. سورة الملك، الآية ٢٢.

غيري وأفعلت أنا. وإنّما القياس: خرجت أنا وأخرجت غيري، وما أشبهه، فالثلاثي لازم، والرباعي متعدٍّ، وفي هذه الكلمة جاء على العكس.

«الحصائد»: جمع حصيدة، وهي الزرع المحصود، وكذلك: الحصيد. وحصائد الألسنة من الكلام: ما تحصده الألسنة من الكلام، أي: ما يقطعه. شبّه اللسان بالمِنجَل، والكلام بما يحصده من الزرع.

قوله: «فليحفظ ما جرى به لسانه»: أي: فليحفظ كلامه بأن لا يكون عليه.

قوله: «وليحرس ما انطوى عليه جنانه» يعني: وليحفظ ما اشتمل عليه قلبه من الإيمان والإخلاص والتقوى واليقين ونحوها، لما هو مودع في القلب بحفظه مما يفسده أو يكدّره أو يوجب نقصانه بوجه من الوجوه، وبسبب من الأسباب.

«تحسين العمل»: إيقاعه على وجه السنّة، كما قال الله تعالى ورسوله، أو ندباً إليه.

و «تقصير الأمل» هو أصل كل خير، كما أنّ تطويله هو أصل كل شرٍّ؛ فإنّ من يقدّر على نفسه: أنّه [لا] يعيش غداً، لا يسعى لكفايته غداً، ولا يهتمّ له، فيصير حرّاً مَن رقّ الحرص والطمع والذل وخدمة الدنيا، و يكفيه كل شيء.

ومن قدّر في نفسه: أنّه يعيش عشر سنين أو عشرين سنة، فإنّه يصير عبداً لهذه الأوصاف الذميمة المذكورة، ولا يكفيه شَيء من الدنيا، ولا يملأ بطنه وعينه إلّا التراب، كما جاء في الحديث[1].

قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾... الآية[2] أي: لا خير في كثير من كلام الناس وأحاديثهم التي يتحدثون بها إذا اجتمعوا إلّا في كلام من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، وإنما ذكر الأمر بهذه الأشياء ليدلّ على فضيلة فاعلها بالطريق الأولى.

---

١. في عوالي اللئالي (ج ١، ص ١٣٢) ما نصه: وقال ﷺ: لو أنّ لابن آدم ملأ وادٍ مالاً، لأحَبَّ أن يكون له مثله، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب، ويتوب الله على من تاب. وفي روضة الواعظين (ص ٤٢٩) قال ﷺ: لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب.

٢. سورة النساء، الآية ١١٤.

وقيل: إنّه ذكر الفاعل أيضاً بقوله تعالى بعده: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ فوعد الأمر العظيم لفاعلها، وجعل الآمر بها متكلّماً بالخير.

وقيل: أراد بقوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: الأمر بها، إلّا أنه عبّر عنه بالفعل، كما يعبّر عن سائر الأفعال به، فيكون الأمر موعوداً بالأجر العظيم، فكيف[1].

[١٠]

الحديث العاشر[2]

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: **لا تسبُّوا الدنيا؛ فنعمت مطيَّة[3] المؤمن، فعليها[4] يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر[5]؛ إنَّه إذا قال العبد: لعن الله الدنيا! قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربه![6]**

---

١. كذا في النسخة.

٢. أورده الشيخ علي النمازي الشاهرودي في مستدرك سفينة البحار (ج ٣ ص ٣٧٥) عن النبيّ ﷺ: **لا تسبّوا الدنيا فنعمت مطيّة المؤمن، فعليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر؛ إنّه إذا قال العبد: لعن الله الدنيا! قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربه**... الخ.

٣. المطيّة، تذكر وتؤنث، والمطية: الناقة يُركب مطاها، أو البعير يُمتطى ظهره، ج مطايا ومطى (تاج العروس، ج ١٠، ص ٣٤٤)، وفي شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الإستر آبادي (ج ٣ ص ١٨١) المطية: الدابة؛ سمّيت بذلك لأنها تمطو في سيرها، أو لأنَّ الراكب يعلو مطاها، وهو ظهرها.

٤. في «ش»: «عليها».

٥. العبارة في «خ» هكذا: «عليها يبلغ الخير، وفيها ينجو من الشر».

٦. إلى هنا ينتهي ما أورده ابن العربي في الفتوحات المكية من هذا الحديث. وفي الفتوحات المكية زيادة: «قلنا: من هنا قال قتادة ﷺ: ما أنصف أحد الدنيا؛ ذُمّت بإساءة المسيء فيها، ولم تحمد بإحسان المحسن فيها!

وفي عكس هذا يقول بعضهم في الدنيا:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشَّفت ... له عن عدوٍّ في ثياب صديق

هذا، إنّما يريد الحياة الدنيا التي لا يقصد بها الآخرة، وقد ذمّ الله ذلك».

فأخذ[١] الشريف الرضي[٢] هذا المعنى فنظمه بيتاً[٣]:

يـقولون الزمـان بـه[٤] فسـاد فهم[٥] فسدوا وما فسد الزمان[٦]

[الشرح]

«السبّ»: الشتم.

«نِعم»: كلمة موضوعة للمبالغة في المدح، وهي نقيضة: «بئس» الموضوعة للمبالغة في الذم، يقال: نعم الرجل زيد، ونعمت المرأة هند.

«المطيَّة»: الناقة التي تصلح للركوب؛ سمّيت بذلك لأنّه يركب مطاها، وهو ظهرها، وقال الأصمعي: المطيَّة التي تمط في سيرها، أي: تمدّ، فهي مشتقة من المطو، وهو المدّ.[٧]

«اللعن»: الطرد والإبعاد عن الخير.

---

١. لم ترد هذه العبارة إلى آخر الحديث في «ش».

٢. هو السيد أبو الحسن محمد الرضي بن الحسين، المتوفى ٤٠٤ق، وسيأتي النقل عنه أيضاً.

٣. العبارة في «خ» هكذا: «قال السيد الشريف: فأخذ هذا المعنى بعضهم فقال». وهو الصحيح، فقد ورد في الخصائص الفاطمية للشيخ محمد باقر الكجوري (ج ٢ ص ٥٣١) أنّ هذا من قول بديع الزمان الهمداني:

يـقولون الزمـان بـه فسـاد لقد فسدوا وما فسد الزمان

وفي روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص ٤٨٥: وقال آخر:

أرى حللاً تصان على رجال وأعراضاً تهان ولا تصان

يـقولون الزمـان بـه فسادا وهم فسدوا وما فسد الزمان

وأنشد:

ألا قُل لمن ذم صرف الزمان ظلمت الزمان فذم البشر

فما كدرت صفوات الزمان فتلحى ولكن فيناكدر

٤. في أصل الأعلام: «بهم»، وما أثبتناه من البحار.

٥. في «خ»: «وهم».

٦. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٧٨، عن أعلام الدين.

٧. راجع: الصحاح، ج ٥، ص ٢٤٩٤.

[۱۱]

الحديث الحادي عشر[1]

عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: [أكثروا من[2] ذكر هادم[3] اللذات؛ فإنّكم إن

---

۱. تاريخ مدينة دمشق، ج ۴۸ ص ۵ برقم ۵۵۲۲؛ الفتوحات المكية لابن العربي، ج ۴ ص ۵۴۲.

۲. لم ترد «من» في «ش».

۳. في هامش مسند زيد بن علي (ص ۳۸۶) ما يلي: السماع بالدال المهملة، وقد روي بالذال المعجمة، أي قاطعها. ومن حاشية السيد في الشفاء عنه ﷺ قال: **أديموا ذكر هادم اللذات - يعني الموت - فإنّكم إن ذكرتموه في ضيق وسّعه عليكم فرضيتم به فأُجرتم، وإن ذكرتموه في غناء بغضه إليكم فجدتم به فأُثبتم**. وقال السهيلي الاسنوي وأبو المحمدي: هادم اللذات - بالذال المعجمة - لا يجوز غيره، أي قاطع، وقيل بالمهملة أشهر وبالمعجمة أرجح، والصحيح الأوّل. ومن جواهر الأخبار على أحاديث البحر الزخّار لابن بهران: «ولفظ المصباح: هذمت الشيء هذماً، من باب ضرب: قطعته بسرعة. وسكين هذوم تهذم اللحم، أي تقطعه بسرعة، ومنه: **أكثروا من ذكر هاذم اللذات**.

وفي سبل السلام لابن حجر العسقلاني (ج ۲ ص ۸۸): عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **أكثروا ذكر هاذم اللذات**: الموت (بالكسر بدل من هاذم) رواه الترمذي والنسائي وصحّحه ابن حبان والحاكم وابن السكن وابن طاهر، وأعلّه الدار قطني بالإرسال. وفي الباب عن عمر وعن أنس وما تخلو عن مقال، قال المصنف في التلخيص نقلاً عن السهيلي: إن الرواية في هاذم - بالذال المعجمة - معناه القاطع، وأما بالمهملة فمعناه المزيل للشيء، وليس مراداً هنا، قال المصنف: وفي هذا النفي نظرٌ لا يخفى.

قلت: يريد المعنى على الدال المهملة صحيح؛ فإنّ الموت يزيل اللذات كما يقطعها، ولكن العمدة الرواية. والحديث دليل على أنّه لا ينبغي للإنسان أن يغفل عن ذكر أعظم المواعظ وهو الموت، وقد ذكر في آخر الحديث فائدة الذكر بقوله: **فإنكم لا تذكرونه في كثير إلاّ قلّله، ولا قليل إلاّ كثّره**. وفي رواية للديلمي عن أبي هريرة: **أكثروا ذكر الموت؛ فما من عبد أكثر ذكره إلاّ أحيى الله قلبه، وهوّن عليه الموت**. وفي لفظ لابن حبان والبيهقي في شعب الإيمان: **أكثروا ذكر هاذم اللذات؛ فإنه ما ذكره عبد قط في ضيق إلاّ وسّعه، ولا في سعة إلاّ ضيّقها**. وفي حديث أنس عن ابن لال في مكارم الأخلاق: **أكثروا ذكر الموت؛ فإنّ ذلك تمحيص للذنوب، وتزهيد في الدنيا**. وعند البزار: **أكثروا ذكر هاذم اللذات؛ فإنه ما ذكره أحد في ضيق من العيش إلاّ وسّعه عليه، ولا في سعة إلاّ ضيّقها**. وعند ابن أبي الدنيا: **أكثروا من ذكر الموت؛ فإنه يمحق الذنوب ويزهد في الدنيا؛ فإن ذكرتموه عند الغنى هدمه، وإن ذكرتموه عند الفقر أرضاكم بعيشكم**.

ذكرتموه[١] في ضيق وسّعه عليكم، فرضيتم[٢] به فاجرتم، وإن ذكرتموه[٣] في غنى[٤] بغّضه إليكم فجدتم به[٥] فأثبتّم[٦]، إنّ[٧] المنايا قاطعات الآمال[٨]، والليالي مدنيات الآجال[٩]، وإنّ المرء بين يومين: يوم قد مضى أُحصي فيه عمله فختم عليه، ويوم قد بقي[١٠] لا يَدري لعله لاّ يصل إليه[١١]، إنّ العبد عند خروج نفسه [وحلول رمسه[١٢]][١٣] يرى جزاء ما قدّم، وقلّة غناء[١٤] ما خلّف، ولعلّه من حق منعه، ومن باطل جمعه[١٥].[١٦]

[الشرح]

«الهدم»: كسر البناء وتخريبه.

و«اللذّات»: جمع لذّة، وهي طيب النفس وخفض العيش، والمراد بهادم اللذات:

---

١. في أعلام الدين: «إن كنتم».

٢. في الفتوحات المكية: «ورضيتم».

٣. في أعلام الدين: «إن كنتم».

٤. في «خ»: «عنا».

٥. في «ش»: ـ «به».

٦. هذه العبارة غير واضحة في «خ».

٧. في «خ»: «فإنّ».

٨. في «ش»: «للآمال».

٩. في «ش»: «للآجال».

١٠. الأعلام: ـ «وإنّ المرء بين ... قد بقي»، وكتب في هامش الأعلام هنا ما يلي: «هنا عبارة غير مقروءة، ذهب بها المِقَصّ».

١١. إلى هنا ينتهي ما أورده ابن العربي في الفتوحات المكية من هذا الحديث.

١٢. الرمس: القبر، والأصل فيه: التغطية، جمع رموس وأرماس.

١٣. ما بين المعقوفتين من «خ» والفتوحات المكية، ولم يرد في البحار وأعلام الدين.

١٤. في «خ»: «وغنى».

١٥. في «ش» زيادة: «ولعلّه من باطل جمعه، أو من حقّ منعه».

١٦. ذكره الديلمي في إرشاد القلوب، ص ٢٨، وأخرجه المجلسي في بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٧٩، عن أعلام الدين، وفيهما معاً النقص المنوّه عنه. وهذا الحديث لم يرد في الفتوحات المكية، وإنما أورد ابن العربي المقطع الأخير منه في ذيل الحديث الخامس، كما أشرنا إليه.

الموت؛ فإنّه هادم لجميع اللذّات بالحقيقة.

قوله: «وسّعه عليكم»، معناه: أنّ الإنسان إذا ذكر الموت في ضائقته لفقر أو مصيبة أُخرى -أيّ مصيبة كانت- فإنّها تهون عليه وتسهل، ولهذا قيل: مَن تَفكَّر في الموت هانت عليه المصائب.

«فأجرتم»، أي: فأعطاكم الله الأجر على الرضا بذلك الضيق، و«الأجر»: الثواب.

قوله: «بغّضه إليكم»: لا شَكَّ أنّ العاقل إذا أكثر ذكر الموت والتفكُّر فيه انصرف قلبه عن حبِّ الدنيا ونعيمها الفاني عن قريب، ومال إلى حبّ الآخرة ونعيمها الدائم الذي لا آخر له.

«فجُدتم»: أي: فتصدَّقتم وآثرتم وتقرَّبتم إلى الله تعالى.

«فأُثبتم»، أي: فأعطاكم الله الثَّواب.

«المنايا» جمع منيَّة، وهي الموت، سمِّيت بذلك لأنّها مقدّرة، فاشتقاقها من المَنْي -بوزن الرمي- وهو التقدير، شعر:

لا تأمننّ به وإن أمسيت في حزم حتّى تلاقي ما يَمني لك الماني

أي ما يقدّر لك المقدّر، وقيل: إنّ مِنىً مشتقّة من هذا؛ لأنّ المنايا قُدِّرت فيها على الضحايا فذبحت بها. وقيل في قوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾[1]: إنّه من التقدير، وقيل: إنّه من المُنىٰ، لا من المَني.

«مُدنيات» أي: مقرّبات، و«الآجال»: مُدَد الأعمار.

«الإحصاء»: العد.

قوله: «فختم عليه» أي: صِين وحفظ عن الزيادة والنقصان، ليجازى به يوم القيامة.

«الرمس»: تراب القبر، وقيل: هو القبر نفسه، وأصله المصدر من قولهم: رَمَسَ الميت رمساً، أي: دفنه.

---

١. سورة النجم، الآية ۴۶.

«أسلف»: أمضى. و«قدّم» يعني: من الأعمال.

«الغناء» ـ بالفتح والمد ـ: النفع.

«خلّف»: أي: تركه خلفه بعد موته.

[١٢]

الحديث الثاني عشر[١]

عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أيها الناس، إنّ الرزق مقسوم، لن يعدو امرؤ ما قُسم له[٢]، فأجمِلوا في الطلب. وإن العمر محدود، لن يتجاوز أحد ما قدّر له، فبادروا قبل نفاد الأجل. وإنّ الأعمال محصاة[٣] لن يهمل[٤] منها صغيرة ولا كبيرة، فأكثروا من صالح العمل.

أيّها الناس، إنّ في القنوع[٥] لسعة، وإنّ في الاقتصاد لبلغة[٦]، وإنّ في الزهد لراحة، وإنّ لكل عمل جزاء، وكلّ آتٍ قريب.

[الشرح]

«لن يعدوه»، أي: لن يجاوزه ولن يتعداه.

«فأجملوا في الطلب» أي: ارفقوا ولا تغلوا.

«فبادروا» أي: فسارعوا.

«النفاد»: الفراغ، و«الأجل»: مدة العمر.

---

١. مستدرك الوسائل، ج ١٣، ص ٢٩.

٢. في «خ» والفتوحات المكية: «ما كتب له».

٣. كذا في «ش»، وفي الفتوحات المكية و«خ»: «والأعمال المحصية». وفي أعلام الدين: «والأعمال محصية»، ولعل الأصل: «والأعمال محصاة» كما يظهر من تعليق السيد الرضي، المتوفى ٤٠٤ق، ففي «خ» زيادة: قال السيد الشريف: الوجه في محصية: «محصاة»، ولم يرد هذا التعليق في الفتوحات المكية.

٤. في «خ»: «ولن يعمل».

٥. في «ش»: «القناعة». والقنوع: الرضى بالقسم، وفي المثل: «خير الغنى القنوع، وشر الفقر الخضوع».

٦. البلغة والبلاغ: ما يكفي من العيش ولا يفضل.

«محصاة» أي: معدودة محسوبة.

«لن يُهمل» أي: لن يُترك ولن يطرح؛ قال ابن عباس رضي الله عنه: «إنَّ [الله] يُمهِل ولا يُهمِل».[1]

«الاقتصاد» والاعتدال: التوسط في المعشية وغيرها، وفي الحديث: ما عال من اقتصد[2] أي: ما افتقر مَن اعتدل في المعيشة.

«البلغة»: ما يُتبلغ به من العيش، أي: يُكتفى به على قلّته. «الزهد» عند أهل الحقيقة: بغض الدنيا والإعراض عنها.

وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة.

وقال الجنيد قدس الله روحه: هو خلوّ اليد من الدنيا وخلوّ القلب من طلبها.

وقيل: هو ترك كل ما يشغل عن الله تعالى. وقيل: هو ترك كل ما سوى الله تعالى.

وقال سفيان الثوري وأحمد بن حنبل قدس الله روحهما وغيرهما: الزهد قصر الأمل في الدنيا[3].

وقيل: حقيقة الزهد في قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَاتَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَاكُمْ﴾[4]، فالزاهد: هو الذي لا يفرح بموجود من الدنيا، ولا يحزن على مفقود منها.

«القناعة»: الرضا بالقسمة.

[۱۳]

الحديث الثالث عشر[5]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في بعض خطبه

---

۱. راجع: فتح القدير، ج ۳، ص ۱۶۵.

۲. عدة الداعي، ص ۷۴.

۳. وهذا مأخوذ من كلام الإمام أمير المومنين عليه السلام: الزهد في الدنيا قصر الأمل، كما في مستدرك الوسائل، ج ۱۲، ص ۴۲.

۴. سورة الحديد، الآية ۲۳، وراجع: تحف العقول، ص ۲۷۸.

۵. الفتوحات المكية، ج ۴، ص ۵۴۲؛ بحار الأنوار، ج ۶، ص ۱۶۴.

أو[١] مواعظه: أما رأيتم المأخوذين على الغرّة[٢]، والمزعجين بعد الطمأنينة!؟ الذين أقاموا على الشبهات، وجنحوا[٣] إلى الشهوات، حتى أتتهم رسل ربّهم[٤]، فلا ما كانوا أمّلوا أدركوا، ولا إلى ما فاتهم رجعوا، قدموا على ما عملوا، وندموا على ما خلّفوا، فلن يغن[٥] الندم، وقد جفّ القلم[٦]، فرحم الله امرءً قدّم خيراً، وأنفق قصداً[٧]، وقال صدقاً، وملك دواعي شهوته ولم[٨] تملكه، وعصى إمرة[٩] نفسه فلم تهلكه[١٠].[١١]

[الشرح]

«الغِرّة»: الغفلة.

«المزعج»: المقلق المخرج عن مكانه.

«الطمأنينة»: السكون.

والمراد بإقامتهم على الشبهات: إقامتهم على ما اشتبه عليهم من أُمور الدين من غير تورّع و تحرّز.

---

١. في «خ» والبحار: «و».

٢. في البحار: «المأخوذين على العزة». والغرة ـ بكسر الغين المعجمة ـ أي البغتة والغفلة. والاغترار والغفلة، والغار: الغافل، وقد اغترت بالرجل، واغتره زيد، أي أتاه على غرّة منه، ويجوز أن يعنى بقوله: «المأخوذين على الغرّة» الحداثة والشبيبة، يقول: كان ذلك في غرارتي وغرّتي، أي في حداثتي وصباي.

٣. جنحوا: مالوا.

٤. في «خ»: «حتى أتتهم رسلهم».

٥. كذا في «ش»، وفي «خ»: «ولن يغني» وفي الفتوحات المكية: «ولم يغن».

٦. أي ثبت بما هو كائن، فلا محيص عنه.

٧. أي من غير سرف، من قوله تعالى: ﴿وَلَاتَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَاتَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾. (سورة الإسراء، الآية ٢٩).

٨. في «ش»: «شهواته فلم».

٩. كذا في «ش»، وفي «خ»: «أمر».

١٠. كذا في «ش» والفتوحات المكية، وفي غيرهما: «وعصى أمر نفسه فلم تهلكه».

١١. في البحار: «فلم تملكه» وأخرجه المجلسي في بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٧٩ عن أعلام الدين.

«جنحوا»: مالوا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾[1].

والمراد بمجيء رسل ربهم: مجيء الملائكة إليهم لقبض أرواحهم، إمّا بنزول عذابٍ أو بغيره.

«أمّلوا» يعني: رجوا وتوقّعوا.

«ولا إلى ما فاتهم» يعني: من أعمال الآخرة أو من أعمال الدنيا.

«خلفوا» أي: تركوا خلفهم بعد موتهم.

«ولم يغن الندم» أي: ولم ينفع.

قوله: «وقد جفّ القلم» يعني: انقطعت كتابته، والمراد به: إما القلم الذي كَتَبَ في اللوح المحفوظ بأمر الله تعالى كلَّ كائن من أوّل وجود العالم إلى قيام الساعة، أو القلم الذي يَكتب به الملكان الحافظان أعمال العبد؛ فإنّه يجفّ بموت العبد، أي: ينقطع كتابته. «فجف القلم» كناية عن انقطاع الكتابة؛ لأنّه من لوازمها.

قوله: «وأنفق قصداً» أي: إنفاقاً عدلاً، لا إسرافاً ولا تقتيراً، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ الآية[2].

و«القصد»: العدل، والقصد ـ أيضاً ـ: المعتدل، يقال: رجل قصد، أي: معتدل القامة، لا طويل ولا قصير.

والإمرة ـ بالكسر ـ: مصدر الأمير، كالإمارة، ومعناها: الولاية والسلطنة، ومعناها: إنّه لا يطيع نفسه فيما يأمره به من السيئات.

[۱۴]

الحديث الرابع عشر[3]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: أيها الناس، لا تعطوا الحكمة غير أهلها

---

۱. سورة الأنفال، الآية ۶۱.

۲. سورة فرقان، الآية ۹۷.

۳. الفتوحات المكية، ج ۱، ص ۵۵۷و، ج ۴، ص ۷۲.

فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، ولا تعاقبوا[١] ظالماً فيبطل فضلكم، ولا تراؤوا الناس فيحبط عملكم، ولا تمنعوا الموجود فيقلّ خيركم.

أيها الناس، إنّ الأشياء ثلاثة: أمر استبان رشده فاتّبعوه، وأمر استبان غيُّه فاجتنبوه، وأمر اختلف عليكم فردُّوه إلى الله [تعالى][٢].

أيها الناس، ألا أُنبِّئكم بأمرين، خفيف[٣] مؤنتهما، عظيم أجرهما، لم يلق الله [امرؤ][٤] بمثلهما: طول[٥] الصمت، وحسن الخلق.[٦]

[الشرح]

«الحكمة»: العلم الديني، وقيل: هي سداد القول وإحكام الفعل، وقال أبو حنيفة: «هي العلم بأحكام الدين بدلائلها».

وقال الشافعي: «الفقيه: العالم بأحكام الشريعة، والحكيم: العليم بالأحكام وأدلّتها».

وقال الغزالي: «الفقيه: العالم بظواهر الأحكام، والحكيم: العليم بأسرارها أيضاً، وكل حكيم فقيه، وليس كل فقيه حكيماً. مثاله: أنّ الفقيه يعلم وجوب الصوم بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[٨]، والحكيم يعلم مع ذلك: أنّ سرّ الصوم هو قهر النفس وكسر الشهوات والتخلق بأخلاق الله تعالى وأخلاق الملائكة وغير ذلك من الأسرار المذكورة في مواضعها، وغير أهل

---

١. في نسخة تحف العقول، ص ٢٧: «ولا تكافئوا»، وهو من كافأ الرجل على ما كان منه جازاه؛ كافأ فلاناً راقبه وقابله، صار نظيراً له وساواه.

٢. الزيادة من «ش».

٣. في «خ»: «خفيفتين».

٤. الزيادة من «ش».

٥. لم ترد: «طول» في «خ» ولا في الفتوحات المكية.

٦. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٧٩، عن أعلام الدين.

٧. سورة البقرة، الآية ١٨٣.

٨. سورة البقرة، الآية، ١٨٥.

الحكمة: هو الذي لا يفهمها ولا يعقلها ولو كرّرت عليه؛ لخلل واعوجاج في ذهنه وفساد في إدراكه، والذي يفهمها ـ أيضاً ـ ولا يعمل بها؛ لغلبة شهواته على عقله، وكلاهما ليسا أهلاً للحكمة، فإعطاؤها إيّاهما يكون ظلماً؛ لأنّه وضع الشيء في غير موضعه، وأهل الحكمة: هو الذي يفهمها ويعقلها ويعمل بها. وفي رواية أُخرىٰ ـ بعد قوله: «فتظلموهم» ـ: كونوا كالطبيب الرفيق الذي يضع الدواء في موضع الداء[1].

وفي لفظ آخر: **مَن وضع الحكمة في غير أهلها جهل، ومن منعها أهلها ظلم، إنّ للحكمة حقّاً وإنّ لها أهلاً، فأعط كلَّ ذي حقٍّ حقَّه**[2].

وعن عيسى عليه السلام: **لا تعلّقوا الجوهر في أعناق الخنازير[3]؛ فإنّ الحكمة خير من الجوهر، ومن كره الحكمة فهو شرٌّ من الخنزير.**

وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: اغرف لكل واحد من نهره، واسقه بكأسه.[4]

وقال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله: «كِل لكل عبد بمعيار عقله، وزن له بميزان عمله، حتىٰ تسلم منه وينتفع بك، وإلّا وقع الإنكار؛ لتفاوت المعيار».[5]

وعن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: **إنّ لكل شيء عند الله حرمة، ومن أعظم الأشياء حرمة الحكمة، فمن وضعها في غير أهلها طالبه الله تعالى بحقّها، ومن طالبه خصمه.**[6]

قوله: «ولا تعاقبوا ظالماً»: حثٌّ على العفو والصفح والتجاوز؛ ليثبت الفضل للعافي على المعفوّ عنه.

«الرياء»: النظر إلى الخلق في الطاعات، وهو ضدّ الإخلاص الذي هو تصفية

---

١. مصباح الشريعة، ص ٢١، وفيه: «يضع الدواء حيث ينفع».

٢. الأسرار الفاطمية للشيخ محمد فاضل المسعودي، ص ٤٦.

٣. راجع: التحفة السنية، ص ٧، و شرح أصول الكافي، ص ١١٩.

٤. لم نقف عليه.

٥. في شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام، ص ٤٢٦: «كِل لكل عبد بمعيار عقله، وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار».

٦. في كشف الخفاء، ج ٢، ص ٣٧٤، ما نصه: «وروى ابن جهضم في بهجة الأسرار عن أبي محمد الحرير، قال: رأيت في المنام كأن قائلاً يقول: إن لكل شيء عند الله حقاً، وإنّ أعظم الحق عند الله حق الحكمة، فمَن جعل الحكمة في غير أهلها طالبه الله بحقها، ومن طالبه الله بحق خصم».

الطاعات عن النظر إلى الخلق.

وقيل: الرياء: «هو أن يكون طاعة الإنسان بين الناس أحسن وأتمّ من طاعته في خلوته».

وقال الفضيل: «الرياء ترك العمل لأجل الناس، فأمّا العمل لهم فهو شرك»[١]، والإخلاص: الخلاص من هذين.[٢]

«فيحبط عملكم»، أي: فيبطل ثوابه.

والمراد بمنع الموجود: منع كل ما يقدر عليه الإنسان من الماعون وغيره.

«استبان»، أي: تبيَّن وظهر.

«الرشد»: الهدى، و«الغيّ»: ضدّه، وهو الضلال.

«الاجتناب»: التباعد عن الشيء.

قوله: «فردّوه إلى الله» أي: ردّوه إلى كتاب الله تعالى، واعرضوه عليه لينكشف لكم حكمه بوجود عينه أو بوجود نظيره وشبهه. ويجوز أن يكون المراد بردّه إلى الله تعالى: أن يقول العبد: الله أعلم به.

«الصُّمت»: السكوت.

و «حسن الخلق»: قيل هو ما اختاره الله تعالى لنبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾[٣].

وقيل: هو مجموع خصال حميدة وصفات شريفة تتضمن اقتراب كل خير واجتناب كل شر. وقيل: هو احتمال المكروه بحسن المداراة.

وقيل: هو كفّ الأذى واحتمال الأذى من الجنس وغير الجنس.

---

١. في تاريخ مدينة دمشق (ج ٤٨، ص ٣٨٣) ما نصه: «وقال الفضيل: ترك العمل لأجل الناس هو الرياء، والعمل لأجل الناس هو الشرك».

٢. في ميزان الحكمة لمحمدي الريشهري (ج ٤، ص ٣٧١٩) عن النبي ﷺ: غاية اليقين الإخلاص، غاية الإخلاص الخلاص.

٣. سورة الأعراف، الآية ١٩٩.

[١٥]

الحديث الخامس عشر[١]

عن ابن عمر قال: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها[٢] القلوب، فكان[٣] مما ضبطت منها: أيها الناس، إنّ أفضل الناس من[٤] تواضع عن رفعةٍ، وزهد عن غنيةٍ[٥]، وأنصف عن قوّةٍ، وحلم عن قدرةٍ، ألا وإن أفضل الناس عبد أخذ من[٦] الدنيا الكفاف، وصاحب فيها العفاف، وتزوّد للرحيل، وتأهّب للمسير، ألا وإن أعقل الناس عبد عرف ربَّه فأطاعه، وعرف عدوَّه فعصاه، وعرف دار إقامته فأصلحها، وعرف[٧] سرعة رحيله[٨] فتزود لها، ألا وإنّ خير الزاد ما صحبه[٩] التقوى، وخير العمل ما تقدمته النية، وأعلى الناس منزلة عند الله أخوفهم منه.[١٠]

[الشرح]

«ذرفت الدمع»: سال، وذرفت العين: سال دمعها، وهو من باب صرف.

«وجلت» أي: خافت، وهو من طَرِب.

«ضبطت» أي: حفظت.

«التواضع»: ضد التكبر. و «الرفعة»: ارتفاع القدر وعلوّه.

---

١. سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٣٢٨؛ بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٨٢.

٢. في «ش»: «لها».

٣. في «ش»: «وكان».

٤. في البحار: «أفضل الناس عبداً من».

٥. في البحار: «وزهد عن رغبة».

٦. في البحار: «في».

٧. في «ش»: «وعلم».

٨. في «ش»: «رحلته».

٩. في «ش»: «صحبته».

١٠. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٧٩، عن أعلام الدين، وهذا الحديث لم يرد في الفتوحات المكية.

«الزهد»: سَبَقَ شرحه في الحديث الثاني عشر.

و«الغنية»: الاستغناء، ومعناه: أنّه يزهد في الدنيا مع قدرته عليها.

«الإنصاف»: العدل، ومعناه: أن يعدل مع قدرته عليها، وقوّته على أن لا يعدل.

«الحلم»: العفو والصفح وترك المعاجلة بالعقوبة.

و «الكفاف من الرزق»: ما كف عن الناس وأغنى عنهم، ومنه قوله ﷺ في دعائه: «اللّهمَّ اجعل رزق آل محمّد كفافاً». «العفاف»: العفة، والكف عن المحارم.

«التزوّد» و «التأهّب»: سَبَقَ شرحهما في الحديث الثالث. و «المسير» في الحديث السابع.

و«الرحيل» و «الرحلة»: السفر والانتقال، والمراد به هنا: سفر الآخرة.

والمراد بعدوّ الإنسان: الشيطان؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[1]. والنفس أيضاً عدوّه؛ لأنّها ﴿لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوٓءِ﴾[2] إِلَّا مَا رَحِمَ الله.

والمراد بدار الإقامة: الآخرة. و «إصلاحها»: إدخال العمل الصالح لها.

وقوله: «خير الزاد ما صحبه التقوى»، والتقوى عند أهل الحقيقة: اجتناب كل ما يُبعِد عن الله تعالى.

وقيل: هي الاحتراز بِطاعة الله عن عقوبته.

وقيل: هي اجتناب ما سوى الله تعالى.

وإنّما كان خير العمل ما تقدَّمته النيّة؛ لأنّ العمل إذا خلا عن النية كان عادةً لا عبادةً، أو كان واقعاً على وجه اللهو واللعب، أو على طريق الاتفاق كأفعال البهائم، فلا يصلح وسيلةً وقربةً إلى الله تعالى.

وإنما كان أعلى الناس منزلةً عند الله أخوفهم منه؛ لأنّ الخوف من الله تعالى على قدر المعرفة به، فكل من كان أعرف بالله كان خوفه منه أشدَّ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى

---

١. سورة فاطر، الآية ٦.

٢. سورة يوسف، الآية ٥٣.

ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا﴾[۱]. وقال النبي ﷺ: رأس الحكمة مخافة الله[۲]، وقال أيضاً: من خاف الله خافه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء[۳].

[۱۶]

الحديث السادس عشر[۴]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إنما يؤتى الناس يوم القيامة من[۵] إحدى ثلاث: إما من شبهة في الدين ارتكبوها، أو لشهوة[۶] للذة آثروها، أو غضبة[۷] لحميّة[۸] أعملوها، فإذا لاحت لكم شبهة في الدين[۹] فاجلوها باليقين، وإذا عرضت لكم شهوة فاقمعوها بالزهد، وإذا عَنَّتْ لكم غضبة فادرؤوها بالعفو[۱۰]. إنّه[۱۱] ينادي منادٍ يوم القيامة: من كان له على الله أجر[۱۲] فليقم، فلا يقوم إلاّ العافون، ألم تسمعوا قوله تعالى[۱۳]: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ﴾[۱۴]؟[۱۵]

---

۱. سورة فاطر، الآية ۲۸.
۲. الخصال، للصدوق، ص ۱۱۱.
۳. التحفة السنية، ص ۷۰.
۴. روي هذا الحديث أو مقاطع منه مع اختلاف في الألفاظ في الكتب التالية: بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۱۸۰؛ أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ۳۳۷؛ الفتوحات المكية، ج ۴، ص ۵۴۲.
۵. في البحار: «عن».
۶. في «ش» والفتوحات المكية: «أو شهوة». والمراد: اشتهاء لذة.
۷. كذا في الفتوحات المكية والمخطوطة، وفي غيرهما: «أو عصبيّة».
۸. الحمية: الأنفة؛ لأنّها سبب الحماية، وحمية الجاهلية: التي تمنع الإذعان للحق.
۹. في الفتوحات المكية: ـ«في الدين».
۱۰. في البحار: «فأدوها بالعفو».
۱۱. في «ش»: «فإنّه».
۱۲. في «ش»: «من كان له أجر على الله». وفي «خ» والفتوحات المكية: «من له أجر على الله». وفي البحار: «أجراً».
۱۳. العبارة في «خ» و «ش» والفتوحات المكية هكذا: «فيقوم العافون عن الناس، ألم تر الى قول الله تعالى».
۱۴. سورة الشورى، الآية ۴۰.
۱۵. بحار الأنوار، ج ۷۷، ص ۱۸۰، عن أعلام الدين.

[الشرح]

قوله: «إنما يؤتى الناس يوم القيامة» أي: إنما يَحِلُّ بهم العذاب والعقاب، ويأتيهم من إحدى ثلاث.

يقال: أُوتي فلان من كذا، أي: أُصيب منه ودخل عليه العارض.

الشبهة: الاشتباه.

«ارتكبوها»، أي: فعلوها أو اعتقدوها، وأصل الارتكاب: اتّخاذ الشيء مَركباً؛ فكأنّهم جعلوا الشبهة في الدين مَركباً.

و «الشهوة»: هوى النفس وميلها.

و «اللذة»: طيب النفس وخفض العيش.

«آثروها»: اختاروها.

«الغضبة»: المرة من الغضب، و «الحمية»: الأنفة، وهي الاستنكاف.

«أعملوها»، أي: حملوا على العمل بمقتضاها، من إمضاء آثار الغضب ومطاوعة دواعي الشيطان فيه ودواعي النفس الأمارّة بالسوء، فالهمزة في «أعملوها» للتعدية، والضمير فيه للحمية أو للغضبية.

«لاحت»: أي: ظهرت.

«اليقين» في اللغة: العلم الذي لا شك معه، وعند أهل الحقيقة: هو رؤية العيان بقوة الإيمان لا بالحجة والبرهان.

وقيل: هو مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب، وملاحظة الأسرار بمخاطبة الأفكار.

وقيل: هو زوال الشبهة والمعارضات.

«القمع»: القهر والإذلال.

«الزهد»: سبق تفسيره في الحديث الثاني عشر.

«عنّت»: عرضت.

«فادرؤوها»: فادفعوها.

[۱۷]

الحديث السابع عشر[1]

قال عبد الله بن مسعود[2]: قال[3] رسول اللهﷺ: قال[4] الله تعالى:[5] ابنَ آدم، يؤتى كلَّ يوم برزقك وأنت تحزن، وينقص كلَّ يوم من عمرك وأنت تفرح، أنت فيما يكفيك، وتطلب[6] ما يطغيك[7]، لا بقليل تقنع، ولا من كثير[8] تشبع.[9] [وإنك إذن أصبحت آمناً في سربك؛ إنّه من أصبح آمناً في سربه، معافى في بدنه، وله قوت يومه، فكأنّما حيزت له الدنيا بحذافيرها][10]

[الشرح]

«يؤتىٰ به» أي: يأتيك الله تعالى به. و «الباء» في «برزقك» للتعدية، كما في قوله تعالى: ﴿وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَـٰبِهًا﴾[11].

---

۱. روي هذا الحديث أو مقاطع منه مع اختلاف في الألفاظ في الكتب التالية: بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۱۸۰، و ج ۱۰۰، ص ۲۷؛ مجمع الزوائد، ج ۱۰، ص ۲۸۹؛ مسند الشاميين للطبراني، ج ۱، ص ۲۶۱؛ مسند الشهاب لابن سلامة، ج ۱، ص ۳۶۱ ـ ۳۶۲؛ كنز العمال، ج ۳، ص ۳۸۹؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، ج ۱، ص ۱۱۵؛ كشف الخفاء، ج ۱، ص ۳۲؛ تاريخ مدينة دمشق، ج ۱۶، ص ۲۱۲، ۲۱۳؛ أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ۳۳۷؛ الفتوحات المكية، ج ۴، ص ۵۴۲.

۲. في «ش»: «عن ابن مسعود، قال».

۳. العبارة في «خ» هكذا: «عن عبد الله بن مسعود، قال: قال».

۴. في «خ» و «ش»: «يقول».

۵. في «ش» والبحار: + «يا».

۶. في «ش» والفتوحات المكية: + «أنت».

۷. في «خ»: «يعطيك».

۸. في «ش»: «ولا بكثير».

۹. البحار، ج ۷۷، ص ۱۸۰، عن أعلام الدين.

۱۰. الزيادة من «ش».

۱۱. سورة البقرة، الآية ۲۵.

قوله: «وأنت تحزن»، يعني: حيث لا تبلغ آمالك وأمانيك من الجمع والادّخار لزمان لا تدري هل تعيش إليه أم لا؟ ولو عشت إليه[١] لا تدري هل يكون ما جمعته وادخرته من الزيادة على قوت يومك رزقك، أو رزق غيرك؟

قوله: «وأنت تفرح» أي: تفرح بتجدد الأيام والشهور والأعوام، وهي نقصان من عمرك لا محالة.

«ما يطغيك» أي: ما يوقعك في الطغيان، وهو مجاوزة الحد في المعصية وغيرها.

[١٨]

الحديث الثامن عشر[٢]

عن أبي هريرة قال: بينا رسول الله ﷺ جالس، إذ رأيناه ضاحكاً حتى بدت ثناياه، فقلنا: يا رسول الله، مما ضحكت؟[٣] فقال: **رجلان من أُمّتي، جثيا[٤] بين يدي ربّي [ﷻ][٥]، فقال أحدهما: يا ربِّ، خذ لي بمظلمتي[٦] من أخي[٧]. فقال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته[٨]، فقال: يا ربّ،**

---

١. كذا صحح في النسخة، وفي الأصل: ولو عشت لا تدري إليه...

٢. روي هذا الحديث أو مقاطع منه مع اختلاف في الألفاظ في الكتب التالية: أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ٣٣٨؛ الفتوحات المكية، ج ٤، ص ٥٢٧.

٣. العبارة في «خ» هكذا: «بينا رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً، إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، فقيل له: مما تضحك؟». وفي «ش» هكذا: «بينا رسول الله ﷺ ذات يوم جالس، إذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه، فقيل له: ممّ تضحك يا رسول الله؟».

٤. في البحار: «جيئا». وجثيا مثنّى جثا، وجثا يجثو ويجثي جثوّاً وجُثيّاً، على فُعول فيهما: جلس على ركبتيه للخصومة ونحوها. ويقال: جثا فلان على ركبتيه. (لسان العرب، ج ١٤، ص ١٣١)، وفي القاموس المحيط (ج ٤، ص ٣١١): جثا كدعا ورمى، جُثوّاً وجُثيّاً بضمهما: جلس على ركبتيه، أو قام على أطراف أصابعه.

٥. الزيادة من «ش».

٦. في «ش»: «مظلمتي».

٧. في البحار: «من آخر».

٨. في «خ»: «مظلمتين».

لم يبق[۱] من حسناتي شيء ، فقال [الطالب بحقه][۲] : يا رب ، فليحمل [عنّي][۳] من أوزاري .

ثم فاضت[۴] عينا رسول الله ﷺ ، وقال : إنّ ذلك اليوم ليوم [عظيم، يوم][۵] يحتاج الناس [فيه][۶] إلى من[۷] يحمل عنهم من[۸] أوزارهم.

[قال:][۹] ثم قال الله تعالى للطالب[۱۰] بحقه : ارفع بصرك إلى الجنة[۱۱] ، فانظر ماذا ترى؟[۱۲] فرفع رأسه ، فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة ، فقال : يا رب، لمن هذا؟[۱۳]

فقال : لمن أعطاني ثمنه.

فقال : يا رب ، ومن يملك ثمن ذلك ؟[۱۴]

فقال[۱۵] [الله تعالى][۱۶] : أنت .

فقال : كيف لي بذلك ؟[۱۷]

---

۱. في «خ»: «ما بقى».
۲. الزيادة من «ش» .
۳. ليس في «ش» والبحار .
۴. في «خ»: «وفاضت».
۵. الزيادة من «ش».
۶. ليس في «ش».
۷. في «خ»: «إلى أن».
۸. في البحار : ـ «من» .
۹. ما بين المعقوفتين من «خ».
۱۰. في البحار : «الطالب».
۱۱. في «خ» و «ش» : «ارفع بصرك فانظر الى الجنان».
۱۲. في «خ»: ـ «فانظر ماذا ترى ».
۱۳. في «خ» و «ش»: «لمن هذا ، يا رب؟».
۱۴. في «ش» : «فقال : ومن يملك ذلك يا رب؟».
۱۵. في «خ»: «قال».
۱۶. الزيادة من «ش» .
۱۷. في البحار : «كيف بذلك؟» ، وفي «خ» و «ش» : «قال: بماذا».

فقال[١]: بعفوك عن أخيك.

فقال: يا رب، قد عفوت.[٢]

فقال الله تعالى[٣]: فخذ بيد أخيك فادخلا الجنة[٤].

ثم قال[٥] رسول الله ﷺ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[٦].[٧]

[الشرح]

«بينا»: أصلها «بين» بمعنى وسط، تقول: جلست بين القوم، أي: جلست وسط القوم، ثم أُشبعت فتحتها فصارت ألفاً، ثم زيدت عليها «ما» فقيل: «بينما»، والمعنى واحد، وهي ظرف زمان، تقول: بيننا نحن نرقبه أتانا، أي: أتانا بين أوقات رقبتنا إيّاه. وأسماء الزمان تضاف إلى الجمل كقولهم: آتيك زمن الحَجّاجُ أمير، وتقول: بينا زيد جالس قمت. وبينا قام زيد جلست، أي فعلت هذا الفعل في وسط أوقات جلوسه أو قيامه.

وقوله: «ذات يوم» قيل: زائدة، تقديره: يوماً جالس، وقيل: هي صفة لموصوف محذوف، تقديره: ساعة أو حالة ذات يوم، وفائدته تمييز تلك الساعة والحالة عن كونها واقعة في الليل.

«الثنايا»: جمع ثنية، وهي أوّل ما يبدو من أسنان الإنسان عند الضحك والتبسّم، وهي أربع.

«جثىٰ الرجل، يَجثي ويَجثو جُثيّاً وجُثوّاً»: جلس على ركبتيه، ومنه قوله تعالى:

---

١. في «خ»: «قال».

٢. في «خ» و «ش»: «قال: فإنّي قد عفوت عنه».

٣. في «خ»: «قال».

٤. في «خ»: «فأدخله الجنة».

٥. في البحار: «فقال».

٦. سورة الأنفال، الآية ١. وتمام الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

٧. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٨٠، عن أعلام الدين، وهذا الحديث لم يرد في الفتوحات المكية.

﴿وَنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[1] . «المَظلَمة» بفتح اللام: ما تطلبه من المظالم، وهو ما أُخذ منك، وأمّا المصدر فالمَظلِمة ـ بكسر اللام ـ.

«الأوزار»: جمع وزر، وهو الإثم، وأصل الوزر: الثقل والحمل.

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[2] أي: حقيقة وصلكم.

[۱۹]

الحديث التاسع عشر[3]

عن أنس بن مالك قال: قالوا: يا رسول الله ﷺ[4] مَن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟

فقال: الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، فاهتمُّوا[5] بآجلها[6] حين اهتمّ الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم، فما عرض لهم منها[7] عارض إلّا رفضوه، ولا خادعهم من رفعتها[8] خادع إلّا وضعوه[9]، أخلقت[10] الدنيا عندهم فما يجدّدونها، وخربت بيتهم[11] فما يعمرونها، وماتت في صدورهم [حاجاتهم][12] فما

---

۱. سورة مريم، الآية ۷۲.

۲. سورة الأنفال، الآية ۱.

۳. روي هذا الحديث أو مقاطع منه مع اختلاف في الألفاظ في الكتب التالية: بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۱۸۱؛ أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ۳۳۸؛ الفتوحات المكية، ج ۴، ص ۵۴۳.

۴. في «خ» و «ش»: «قال: قيل لرسول الله ﷺ».

۵. في «ش»: «واهتموا».

۶. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: «بآجل الدنيا».

۷. في «خ»: «فما عرض لهم من نائلها»، وفي الفتوحات المكية: «فما عرضهم من نائلها».

۸. الرفعة: ارتفاع القدر والمنزلة.

۹. العبارة في «خ» هكذا: «ولا خادعهم من رفعتها على خادع إلاّ أوضعوه».

۱۰. في البحار والفتوحات المكية و «ش»: «خلقت».

۱۱. في «ش»: «بيوتهم».

۱۲. الزيادة من «ش».

يحيونها[١]، بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون[٢] بها ما يبقى لهم،[٣] نظروا إلى أهلها صرعى قد حلّت بهم المَثُلات، فما يرون أماناً دون ما يرجون، ولا خوفاً دون ما يحذرون[٤].[٥]

[الشرح]

«أولياء الله»: جمع ولي، وفيه وجهان؛ أحدهما: أنّه فعيل بمعنى مفعول، كقتيل وجريح يعني مقتول ومجروح، فعلى هذا هو مَن يتولّى الله رعايته وحفظه، فلا يكله إلى نفسه لحظة، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[٦]. والوجه الثاني: أنّه فعيل، مبالغة من فاعل، كرحيم وعليم بمعنى راحم وعالم، فعلى هذا هو مَن يتولّى عبادة الله تعالى فيأتي بها على التوالي من غير أن يتّخذه عصيان أو فتور. وكلا المعنيين شرط في الولاية، فمن شرط الولي: أن يكون محفوظاً، كما أنّ من شرط النبيّ أن يكون معصوماً، فكل من كان للشرع عليه اعتراض فليس بوليٍّ، بل هو مغرور مخادع. كذا ذكر الإمام أبو القاسم القشيري وغيره من أئمة الطريق﵀[٧].

ومعنى النظر إلى باطن الدنيا: رؤيتها بعين القلب، وهو التفكر فيها، والتدبُّر في حكمة خلق الله إيّاها وإيجاده لها؛ فإنّه إنّما خلقها وأوجدها بما فيها من أجناس المخلوقات وأنواعها من الجماد والنبات والحيوان؛ ليكون آيةً دالةً على وحدانيته، وليكون مزرعةً للآخرة، وقنطرةً يعبُر عليها اليها، وزاداً يتزوّد منها بقدر الضرورة لسفر

---

١. في البحار: «يحبونها».

٢. في «خ»: «ليشترون».

٣. في «خ» والفتوحات المكية: + «و».

٤. كذا في «ش» والبحار، وفي غيرهما: «يجدون».

٥. بحار الأنوار، ج ٧٧ ص ١٨١ عن أعلام الدين.

٦. سورة الأعراف، الآية ١٩٦.

٧. في مغني المحتاج لمحمد بن أحمد الشربيني (ج ٤ ص ١٣٤) عن القشيري: «من شرط الولي أن يكون محفوظاً، كما أنّ من شرط النبيّ أن يكون معصوماً، فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع». وراجع: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، ج ١١، ص ٧٦. وإعانة الطالبين للبكري الدمياطي، ج ٤، ص ١٥١.

الآخرة، فهي في الحقيقة عارية مردودة، ووديعة في أيّام معدودة، ولهذا قال النبيّ ﷺ: **لا تسبُّوا الدنيا؛ فنعمت مطية المؤمن، عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشرّ**[1]. فشبّهها بالمطيّة؛ لأنّ المؤمن مسافر عليها الى الآخرة.

وأما «النظر إلى ظاهر الدنيا»، فهو رؤيتها بعين الرأس، والاقتصار على المعاني الظاهرة منها، وهي زخارفها وزينتها و شهواتها ولذّاتها من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث ونحو ذلك مما هو من متاع الحياة الدنيا، والاستغراق في أسبابها وعلائقها، وبسط الآمال والأماني فيها حتىٰ كأنّها دار بقاء لا دار فناء، ومنزل خلود لا منزل ورود، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ﴾[2].

«اهتمّ بكذا»: أي: جعله من مهامّه وأُموره اللازمة، وأصل الاهتمام: الوقوع في الهمة، فكأنه وقع في همّ بسبب ذلك الأمر حتّىٰ يقضيه.

قوله: «فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم» يعني: رفضوا أو هجروا شهواتها ولذاتها وعلائقها وبوائقها ما خافوا أن تميت قلوبهم وتحجبهم عن الله تعالى.

قوله: «فما عرضهم» يجوز أن يكون معناه: فما صار عارضاً لهم، من قولهم: عرضه عارض من الحمّى أو نحوها. وفي بعض النسخ: «فما اعترضهم»، ومعناه: فما اعترض لهم، أي: فما صار عارضاً كالخشبة المعترضة في النهر ونحوها.

و«النائل» والنوال: العطاء.

«رفضوه»: تركوه.

«خادعهم»: خاتلهم، أي: أراد بهم المكروه من حيث لا يعلمون.

«وضعوه» أي: ألقوه وطرحوه ولم يلتفتوا إليه.

وفي الجمع بين النائل والرفعة، إشارة إلى إعراضهم عن المال والجاه، اللذَين هما

---

۱. بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۱۷۸.

۲. سورة الروم، الآيتان ۶ و ۷.

أصل كل فتنة ومحنة.

«خَلَقَتْ» و «أخلقت»: أي: عتقت وبليت، والمراد بذلك: إخلاق ما جاورهم منها من مساكنهم وملابسهم وآلات بيوتهم. والمراد بموتها في صدورهم: هوانها في نظرهم، وعدم خطورها في قلوبهم.

«فما يحيونها» بالنظر إليها، وتعليق القلوب بها، بل يهدمونها بتركها والإعراض عنها.

«الصرعى»: الموتى، والصرعى واحدهم صريع، وهو فعيل بمعنى مفعول.

«حلّت»: نزلت.

«المثلاث»: العقوبات، واحدها: مَثُلة ـ بفتح الميم وضمّ الثاء ـ والمراد به: الذين اشتغلوا بالدنيا ونعيمها عن الله تعالى حتّى نزل بهم عذابه وعقابه.

«فما يرون أماناً دون ما يرجون»، يعني: إنّ أولياء [الله] لا يرون ما يعدُّونه أماناً ـ من جميع المبشِّرات وعلامات الأمان التي تظهر لهم ويعدّها غيرهم أماناً ـ [أماناً] غير ما يرجونه من رحمة الله تعالى في الآخرة، فيكون «دون» بمعنى «غير»، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾[1] أي: من غير الله.

أو بمعنى: قبل، كما في قولهم: لا أقوم من مجلس دون أن تجيء. ولا أفارقك دون أن تعطيني حقي.

ولا يرون ما يعدُّونه خوفاً من جميع ما يعدّه [غيرهم][2] خوفاً غير ما يعدُّونه من عذاب الآخرة، فالذي يرجونه أولياء الله هو رحمته في الآخرة، والذي يحذرونه هو عذابها فيها. ولا نظر لهم إلى أمر مرجوّ أو مخوف غير هذين؛ يؤيِّده قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ

---

١. سورة مريم، الآية ٨١.

٢. الزيادة اقتضاها السياق.

عَذابَهُ﴾... الآية[١]، وقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَـرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾... الآية[٢].

[٢٠]

الحديث العشرون[٣]

عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: إنَّما أنتم خلف ماضين، وبقيّة متقدّمين كانوا أكثر[٤] منكم بسطةً، وأعظم [منكم][٥] سطوةً، فأُزعجوا[٦] عنها أسكن ما كانوا إليها، وغُدرت بهم، وأُخرجوا منها[٧] أوثق ما كانوا بها، فلم يمنعهم[٨] قُوَّة عشيرة، ولا قُبِل منهم بذل فدية، فأرحلوا أنفسكم بزاد مبلِّغ[٩] قبل أن تؤخذوا على فجأة وقد غفلتم عن الاستعداد [ولا يغني الندم وقد جفَّ القلم][١٠].[١١]

[الشرح]

«الخلْف» ـ بسكون اللام ـ: القرن الذي يجيء بعد قرن قبله. و«الخلف» أيضاً بسكون اللام وفتحها: ما جاء من بعد، يقال: فلان خلف سوء من أبيه. وخلَف صدق

---

١. سورة الإسراء، الآية ٥٧.

٢. سورة الزمر، الآية ٩.

٣. روي هذا الحديث أو مقاطع منه مع اختلاف في الألفاظ في الكتب التالية: بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٨١؛ أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ٣٣٨؛ الفتوحات المكية، ج ٤، ص ٥٤٣.

٤. في البحار: «أكبر».

٥. الزيادة من «ش».

٦. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: «أزعجوا».

٧. في «خ» والفتوحات المكية: - «وأخرجوا منها».

٨. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: «فلم يغن عنهم».

٩. أي موصل ونافذ يبلغ ما أُريد منه.

١٠. أثبتناه من «ش» والفتوحات المكية.

١١. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٨١، عن أعلام الدين.

ـ بالسكون والفتح فيهما ـ، ومنهم من يقول: خلَف صدق ـ بفتح اللام ـ و خلْف سوء ـ بسكونها ـ، والواحد والجمع فيه سواء؛ قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾[١].

وقوله: «بقية ماضين»: أي: قليل بقي منهم، وهو من قولهم: بقي من المال أو من الطعام بقية، أي: شيء قليل: ونظيره قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[٢] وليس من البقية بمعنى الخير والطاعة، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾[٣] أي: أولوا تمييز وخير وطاعة. وقيل: إنّ البقية تستعمل أيضاً بمعنى الشرّ، ولكنه قليل.

«بسطة» أي: سعة وزيادة، ويحتمل أن يكون أراد بها: السعة في المال والغنى، أو في الخلقة والصورة، أو أرادهما معاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً﴾[٥] أي: في الخلقة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان أطولهم مئة ذراع، وأقصرهم ستّين ذراعاً»[٦].

«سطوة» أي: قهراً.

«أزعجوا»: أقلعوا وأخرجوا عنها، أي عن الدنيا.

«أسكن ماكانوا إليها»، أي: آنس ماكانوا بها، يقال: سكن إليه: إذا أنس به.

و «آوىٰ» أي: انضمّ، ومنه قوله تعالى: ﴿جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[٧].

«أوثق ماكانوا»، أو أشدّ ماكانوا إيماناً إليها وإيقاناً وعليها اعتماداً، يقال: وثق به: إذا ائتمنه واعتمد عليه.

---

١. سورة مريم، الآية ٥٩.
٢. سورة البقرة، الآية ٢٤٨.
٣. سورة هود، الآية ١١٦.
٤. سورة البقرة، الآية ٢٤٧.
٥. سورة الأعراف، الآية ٦٩.
٦. راجع: شرح أصول الكافي، ج ١٢، ص ٦.
٧. سورة الأعراف، الآية ١٨٩.

«فلم يغن» أي: فلم ينتفع [به].

«العشيرة»: القبيلة.

«الفدية»: الفداء.

قوله: «فارحلوا نفوسكم بزاد مبلغ»، إن كانت الرواية بوصل الهمزة فهو استعارة من قولهم: رحلت البعير ارحله رحلاً: إذا شددت عليه الرحل، شبّه زاد الآخرة وهو التقوى والعمل الصالح برحل البعير، وهو الشَّيء التي يشدُّ على ظهره. وإن كانت الرواية بقطع الهمزة ـ وهو الأظهر ـ فهي همزة التعدية، ومعناه: احملوها على الرحيل، وهو السفر بزاد يبلغها منزل إقامتها، وهو دار الآخرة.

قوله: «فُجأة» بالمدّ وضمّ الفاء، أي بغتة على غفلة.

«الاستعداد»: التهيؤ.

وقوله: «قد جفّ القلم» سبق شرحه في الحديث الثالث عشر.

[۲۱]
الحديث الحادي والعشرون[1]

عن سالم بن عبد الله، عن ابن عمر[2] قال: قال لي رسول الله ﷺ: كن في الدنيا كأنّك غريب أو[3] عابر سبيل، واعدُد[4] نفسك في الموتى، وإذا[5] أصبحت فلا تحدِّث نفسك بالمساء[6]، وإذا

---

۱. سنن الترمذي، ج ۳، ص ۳۸۸؛ المصنف لابن أبي شيبة الكوفي، ج ۸، ص ۱۲۴؛ المعجم الكبير للطبراني، ج ۱۲، ص ۳۱۸؛ كتاب الغرباء لمحمد بن الحسين الآجري، ص ۳۷؛ العهود المحمدية، للشعراني ص ۵۵۸؛ التحفة السنية (مخطوط) للسيد عبد الله الجزائري، ص ۷۰؛ وسائل الشيعة، ج ۱، ص ۱۱۴؛ مكارم الأخلاق للطبرسي، ص ۴۵۹؛ عدة الداعي، ص ۷۴؛ مسكن الفؤاد للشهيد الثاني، ص ۲۶.

۲. العبارة في «خ» و «ش» هكذا: «عن عبد الله بن عمر» ولم ترد: «عن سالم بن عبد الله» فيهما.

۳. في البحار: «و».

۴. في الفتوحات المكية: «وعدّ».

۵. في «ش»: «فإذا».

۶. العبارة في «خ» هكذا: «فإذا أصبحت نفسك فلا تحدثها بالمساء».

أمسيت فلا تحدِّث نفسك[١] بالصباح[٢]، وخذ من صحَّتك لسقمك، ومن شبابك[٣] لهرمك [ومن فراغك لشغلك][٤] ومن حياتك لوفاتك؛ فإنَّك لا تدري ما اسمك[٥] غداً.[٦]

[الشرح]

قوله: «كأنَّك غريب»: لا تركن إليها ولا تطمئن بها؛ لأنَّك على جناح السفر منها إلى وطن إقامتك، وهو الآخرة، كالغريب لا يستَقرّ في دار الغربة، ولا يسكن إليها، بل لا يزال مشتاقاً إلى وطنه عازماً على السفر اليه.

«عابر السبيل»: هو المسافر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾[٧] في أحد الوجهين[٨]، والسبيل: هو الطريق، فالمسافر يمرّ في الطريق، صادق كل عزمه وقصده إلى بلوغ مقصده، غير ملتفت إلى خربات الطريق، ولا مُعَرِّج[٩] عليها.

---

١. في «ش»: «تحدثها».

٢. العبارة في «خ» هكذا: «وإذا أمسيت فلا تحدِّثها بالصباح». وفي الفتوحات المكية: «وإذا أصبحت فلا تحدِّثها بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدِّثها بالصباح».

٣. في «خ»: «ومن شأنك».

٤. ما بين المعقوفتين من «خ» والفتوحات المكية.

٥. في «خ»: «ما أمسكت».

٦. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٨١، عن أعلام الدين.

٧. سورة النساء، الآية ٤٣.

٨. وهذا قول أبي حنيفة. الوجه الآخر أنّه أعم من المسافر والحاضر، قال السيد الخميني في كتاب الطهارة (ج ٢، ص ٢١٤) في قوله تعالى: ﴿لَاتَقْرَبُواْ الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَاجُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ﴾؛ بناء على أنَّ المراد من الصلاة نفسها لا محالها كما هو الأظهر في الآية، ولا ينافيه قوله: ﴿إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ﴾؛ لأنه إشارة ظاهراً إلى المسافر الفاقد الذي يأتي حكمه في ذيلها». وفي المجموع لمحيي الدين النووي (ج ٢، ص ١٦٢) في قول الله تعالى: ﴿لَاتَقْرَبُواْ الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَاجُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ﴾ ما نصه: «قال أصحاب أبي حنيفة: المراد بالآية أنّ المسافر إذا أجنب وعدم الماء جاز له التيمم والصلاة وإن كانت الجنابة باقية؛ لأنّ هذه حقيقة الصلاة. والجواب: أنّ هذا الذي ذكروه ليس مختصّاً بالمسافر بل يجوز للحاضر، فلا تحمل الآية عليه، وأما ما ذكرناه فهو الظاهر وقد جاء الحديث وأقوال الصحابة وتفسيرهم على وفقه، فكان أولى».

٩. عَرَّجَ: وقف ولبس

قوله: «واعدد نفسك في الموتىٰ» يعني: لا تغترّ بالبقاء في دار الفناء؛ فإنّ الحياة فيها ـ في الحقيقة ـ كزيارة ضيف أو سحابة صَيف.

قوله: «وإذ أصبحت نفسك ـ إلى قوله : ـ بالصباح» حثّ علىٰ تقصير الأمل، وقد سبق شرحه في الحديث التاسع، وباقي الحديث حثٌ علىٰ المسارعة الى الطاعات واغتنام الأوقات والمبادرة إلى استغراقها بالتقوى والعمل الصالح؛ فإنّ أوقات الإنسان وأنفاسه: رأس ماله، وسوقه: الدنيا، وربحه: الفوز بالجنة، وخسرانه: الخلود في النار ـ أجارنا الله منها ـ.

و «الهرم»: الكبر.

وقوله: «فإنّك لا تدري ما اسمك غداً»، أي: لا تعلم أنّ اسمك غداً: حيّ، فتقدر على العمل وتستدرك فيه ما فاتك بالأمس، أو اسمك: ميّت، فتقع في الحسرة والندامة التي لا آخر لها.

[٢٢]

الحديث الثاني والعشرون [١]

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ [٢] في بعض خطبه أو مواعظه: **أيُّها الناس، لا تشغلنَّكم [٣] دنياكم عن آخرتكم، فلا [٤] تؤثروا أهواءكم على طاعة ربّكم، ولا تجعلوا أيمانكم ذريعةً إلى معاصيكم [٥]، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومهّدوا لها قبل أن تعذّبوا، وتزوّدوا للرحيل قبل أن تُزعَجوا؛ فإنّما هو موقف عدل [٦]، واقتضاء حقٍّ، وسؤال عن واجب، وقد أبلغ [٧] في**

---

١. روي هذا الحديث أو مقاطع منه مع اختلاف في الألفاظ في الكتب التالية: بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٨١؛ أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ٣٣٩؛ الفتوحات المكية، ج ٤، ص ٥٤٣؛ تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ٣٥٣.

٢. العبارة في «خ» و «ش» هكذا: «قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول».

٣. في البحار والفتوحات المكية: «لا يشغلنكم».

٤. في «خ» و «ش» والفتوحات: «ولا».

٥. في الفتوحات المكية: «لمعاصيكم».

٦. في البحار: «فإنّها موقف عدل».

٧. في «خ» والفتوحات: «ولقد بلّغ...».

الإعذار[١] من تقدّم بالإنذار[٢].[٣]

[الشرح]

«لا تؤثروا»: لا تختاروا.

والأهواء: جمع هوى، وهو ميل النفس وشهواتها.

«الذريعة»: الوصيلة، وهي ما يجعل سبباً يُتوصّل به إلى الشيء، يقال: تذرع فلان بذريعة، أي: توصل بوصيلة.

ومعنى جعل الأيمان وسيلةً إلى المعاصي: أن يَحلف على المعصية أن يفعلها، أو يحلف على الطاعة أن لا يفعلها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾[٤] أي: لا تجعلوه عدة تُحلّون به بينكم وبين ما يقرّبكم إليه.

وقال الأزهري، معناه: «لا تجعلوه مانعاً لكم عن البرّ».[٥]

وفي بعض النسخ: «ذريعة إلى معاشكم»، ومعناه: النهي عن الحلف لتنفيق السلعة؛ كما قال النبي ﷺ: الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة.[٦]

«تمهيد الأمور»: تسويتها وإصلاحها، ومنه: تمهيد العذر، وهو بسطه، والمراد به: تمهيد أمور الآخرة.

«التزوّد» سبق شرحه في الحديث الثالث.

«الرحيل»: السفر، وأراد به سفر الآخرة.

«تُزعَجوا»: تقلقوا وتحرّكوا أو تخرجوا.

---

١. الإعذار: إبلاغ الحجة، وفي المثل: «قد أعذر من أنذر».

٢. في الفتوحات المكية: «في الإنذار».

٣. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٨١، عن أعلام الدين.

٤. سورة البقرة، الآية ٢٢٤.

٥. راجع: تهذيب اللغة.

٦. كذا في البخاري، ج ٣، ص ١٢، وفي رواياتنا: «ممحقه للربح» كما في الكافي، ج ٥، ص ١٦٢، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إيّاكم والحلف؛ فإنّه ينفق السلعة، ويمحق البركة.

«فإنّما هو» أي: فإنّما موقف القيامة «موقف عدل» يقف الناس ليعدل الله تعالى بينهم.

«واقتضاء حق»، أي: وطلب حق، فالاقتضاء: الطلب.

والمراد بالواجب: جنس الواجبات الدينية، يُسأل العبد عنها ماذا فعل فيها.

«أبلَغَ» و «بالَغَ» متقاربان، ومعناه: لقد بالغ في بسط عذره مَن تَقَدَّم في إنذاركم، وهما كتاب الله ورسوله.

[۲۳]

الحديث الثالث والعشرون[1]

عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ـ عند منصرفه من أُحد، والناس محدقون به، وقد أسند ظهره إلى طلحة ـ:[2] **أيُّها الناس، أقبِلوا على ما كُلِّفتموه[3] من إصلاح[4] آخرتكم، وأعرضوا عمّا[5] ضمن لكم من دنياكم[6]، ولا تستعملوا جوارح غذيت بنعمته في التعرُّض لسخطه بمعصيته[7]، واجعلوا شغلكم في التماس[8] مغفرته، واصرفوا همَّتكم[9] بالتقرُّب إلى طاعته[10]، إنّه مَن بدأ بنصيبه من الدنيا فاته نصيبه[11] من الآخرة، ولم يدرك[12]**

---

١. عدة الداعي، ص ٢٨٨؛ الفتوحات المكية، ج ٤، ص ٥٣٤.

٢. في الفتوحات المكية: + «يا».

٣. في أعلام الدين: «كفلتموه».

٤. في الفتوحات المكية: «صلاح».

٥. في أصل أعلام الدين: «عمن»، وما في المتن موافق للبحار.

٦. في الفتوحات المكية: «أمر دنياكم».

٧. في البحار: «بنقمته».

٨. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: «بالتماس».

٩. في «ش»: «هممكم».

١٠. العبارة في «خ» والفتوحات المكية هكذا: «واصرفوا هممكم الى التقرب إليه بطاعته».

١١. في «ش» والبحار والفتوحات المكية: «فإنّه نصيبه».

١٢. في «ش» والفتوحات المكية: «ولا يدرك».

منهما[١] ما يريد، ومن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل إليه [نصيبه من الدنيا وأدرك من الآخرة ما يريد][٢].[٣]

[الشرح]

«المنصرَف»: يكون مكاناً ويكون مصدراً، وهو هنا مصدر، بمعنى الانصراف.

و«أُحد» جبل بالمدينة.

«محدقون به» أي: محيطون، يقال: حدقوا به وأحدقوا به بمعنى واحد، ومنه: الحديقة، وهي كل بستان عليه حائط، فَعيلة بمعنىٰ مفعولة؛ لأنّ الحائط محيط بها، ومنه: الحدقة، وهي سواد العين الأكبر؛ لأنّ بياض العين محيط بها.

«الطلحة»: شجرة عظيمة من شجر الغضاة.

الإقبال على الأمر: التوجّه نحوه وصرف العناية إليه، والإعراض عنه ضدّه.

والمراد بما كلّفتموه: الواجبات من العبادات ونحوها.

والمراد بما ضمن لنا: الأرزاق؛ فإنّ الله تعالى قد ضمنها بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[٤] ولقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[٥].

«جوارح الإنسان»: أعضاؤه التي يكتسب بها.

«غذيت» أي: ربّيت.

التعرّض للشيء: التصدّي له، وهو أن يستشرفه ناظراً إليه.

---

١. في البحار: «منها».

٢. الزيادة من الفتوحات المكية.

٣. البحار، ج ٧٧، ص ١٨٢ عن أعلام الدين.

٤. سورة الذاريات، الآية ٥٨.

٥. سورة هود، الآية ٦.

«السُخط» و «السَّخَط» ضد الرضا.

و «الالتماس»: الطلب.

وإنّما قال: «ولا يدرك منها ما يريد»؛ لأنّ طالب الدنيا لا يشبع منها؛ كما قال رسول الله ﷺ: منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا[١]، فطالب العلم محمود، وطالب الدنيا مذموم، وهذا معلوم بالتجربة؛ فإنّ طالب الدنيا كلّما بلغ مرتبةً يرجوها من مال أو جاه، طلب مرتبة أُخرى فوقها، وهكذا حتى يأتيه أجله فيقطع أمله، ولا يَملأُ بطنَ آدم وعينه إلّا التراب[٢].

والمراد بالبدأة بنصيبه الدنيا: السعي لتحصيل الدنيا.

والمراد بالبدأة بنصيبه من الآخرة: السعي لتحصيل الآخرة بالتقوى والأعمال الصالحة.

والمراد بنصيبه الذي يصل إليه من الدنيا: رزقه المقسوم له في الأزل.

[٢٤]

الحديث الرابع والعشرون[٣]

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: إيّاكم وفضول المطعم[٤]؛ فإنّه[٥] يَسِمُ[٦] القلب بالقسوة[٧]، ويبطئ بالجوارح[٨] عن الطاعة، ويصمُّ الهمم[٩] عن سماع[١٠] الموعظة، وإيّاكم و فضول

١. نهج البلاغة، ج ۴، ص ١٠٥؛ الكافي، ج ١، ص ۴۶، ح ۵١. وراجع: تاج العروس، ج ١٠، ص ۴٢٩.

٢. راجع: التعليق على شرح الحديث التاسع.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٧. في «ش» زيادة: «معناه: النهي عن كثرة الأكل وكثرة النظر وعن الطمع».

۴. الفضول: الزيادة عن الحاجة.

۵. في «ش»: «فإنّ فضول المطعم».

۶. الوسم: مصدر، وأثر الكيّ والعلامة.

٧. في الفتوحات المكية: «بالقساوة». وسمه يسمه وسمة: أي كواه وأثّر فيه وجعل له علامة يعرف بها.

٨. في «خ»: «عن الجوارح».

٩. كذا في النسخ، ولعل الصحيح: الهم.

١٠. في «ش»: «استماع».

النظر؛ فإنَّه يبذر[١] الهوى[٢]، ويولد الغفلة، وإيّاكم[٣] واستشعار[٤] الطمع؛ فإنّه يشوب القلب[٥] شدَّة الحرص، ويختم على القلوب بطابع حبِّ الدنيا[٦]، وهو[٧] مفتاح كلِّ سيِّئة، ورأس كل خطيئة[٨]، وسبب إحباط كل حسنة.[٩]

[الشرح]

«إياك»: كلمة تحذير؛ قال الخليل: «قول العرب: إياك و[١٠] الأسد، معناه: إيّاك والأسد؛ لينتبه ويحذر الأسد، لكن حذفوا [الواو][١١] لكثرة الاستعمال. وأكثر العرب لم يجوّزوا حذف الواو، وقد جاء قليلاً بحذف الواو، ومنه قول الملتمس: إيّاك أن يضرب لسانك عنقك.[١٢]

«فضول المطْعم»: كثرة الأكل، جمع فضل، وهو الزيادة.

«تسم القلب» ـ بالتخفيف وفتح التاء وكسر السين ـ أي: تعلمه، من الوسم، وهو العلامة. وفي رواية أُخرى: «فإنّها تنشئ قسوة القلب»، أي: تحدثها وتولدها.

---

١. في البحار: «يبدر».

٢. بدر يبدر بدورا الشيء: عاجله وسبقه.

٣. في الفتوحات المكية: «واياك».

٤. الاستشعار: جعل الشيء شعاراً، والشعار: ما ولي شعر جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب، والجمع أشعرة وشعر. وفي المثل: هم الشعار دون الدثار، يصفهم بالمودَّة والقرب. وفي حديث الأنصار: أنتم الشعار والناس الدثار، أي أنتم الخاصة والبطانة كما سماهم عيبته وكرشه. والدثار: الثوب الذي فوق الشعار. (لسان العرب، ج ٤، ص ٤١٢ «شعر»).

٥. في «خ» والفتوحات المكية: «يشرب القلب». وفي «ش»: «يشرب القلوب».

٦. كذا في البحار والفتوحات المكية، وفي غيرهما: «بطابع حب الدنيا».

٧. في الفتوحات المكية: «فهو».

٨. «خ» و«ش» والفتوحات المكية: ـ «ورأس كل خطيئة».

٩. بحار الأنوار، ج ٧٧ ص ١٨٢، عن أعلام الدين.

١٠. كذا في النسخة، ولعل الواو زائدة هنا، فتأمل.

١١. الزيادة اقتضاها السياق.

١٢. لم نقف عليه.

و «القسوة» و «القساوة»: غلظ القلب وشدّته، فيقال: حجر قاسٍ، أي: صلب، وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللهِ﴾[2]، ويقال: الذنب مقساة للقلب، أي: سبب لقسوته، فعلى هذا يكون فضول المطعم موجبة لقسوة القلب من جهتين: من جهة أنّها ذنب؛ لأنّها تبذير وإسراف، ومن جهة أنها توسّع مجاري الشيطان ـ وهي العروق ـ وتقوّيها وتولّد الكسل والبلادة، وتقتضي الرغبة في الدنيا لتحصيل فضول المطعم، وكل هذه الأسباب مقتضية لقسوة القلب ومانعة من رقّته.

«جوارح الإنسان»: أعضاؤه التي يكتسب بها، وإنّما تُبطِئ كثرة الأكل بالجوارح عن الطاعة؛ لما يحدثه من الكسل والبلادة وثقل المعدة بسبب شرب الماء وكثرة النوم وكثرة الحاجة إلى تجديد الطهارة.

والباء في قوله: «بالجوارح» للتعدية؛ يقال أبطأ زيد، أي: تأخّر مجيؤه، وأبطأ زيد بعمرو، أي: أخّر زيد مجيء عمر.

«ويُصمُّ الهمم» أي: يجعلها صمّاً، والأصمّ: الذي لا يسمع، والهمّ: جمع همّة، وهي العزيمة؛ وإنّما تصمُّ كثرة الأكل الهمم عن سماع الموعظة لِما قلنا من إبطائها بالجوارح عن الطاعة.

«فضول النظر»: هو النظر لغير ضرورة ولغير عبرة وموعظة، كالنظر إلى متاع الدنيا، أي: زينتها و زهرتها و شَهواتها التي امتحن الله سبحانه بها أبناء الدنيا وشغلهم بها عن طلب الآخرة.

و «البذر»: القاء الحَبّ في الأرض.

و «الهوى»: ميل النفس وشهواتها. شبّه فضول النظر في توليدها للشهوات في القلب بالحَبّ المبذور في الأرض في تولّد الزرع منه، ولهذا نهى الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ عن النظر إلى زينة الدنيا وزهرتها بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ

---

١. سورة البقرة، الآية ٧٤.

٢. سورة الزمر، الآية ٢٢.

أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[١]؛ وإنّما يولّد فضول النظر الغفلة لاشتغال القلب بالمنظور إليه وتعلّقه به، فيغفل عن الطاعات والعبادات؛ قال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ﴾[٢].

«استشعار الطمع»: إضماره، من قولهم: استشعر فلان خوفاً، أي: أضمره.

«فإنّه يشرب القلوب شدّة الحرص» أي: فإنّ الطمع يسقي القلوب و يحمّلها على أن تشربه، فالهمزة في «أُشرب» للتعدية، تقول: شرب زيد الماء وأشربه إيّاه عمرو، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾[٣] أي: سقيت قلوبهم حبّ العجل، فحذف المضاف، وهو الحب.

«الختم على الشيء»: تغطيته والاستيثاق منه حتىٰ لا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء، ومنه: ختم الكيس، وختم الدار، وختم الكتاب.

و «الطابع»: الخاتم، معناه: إنّ الطمع يغطي القلوب ويربطها ربطاً وثيقاً بواسطة حب الدنيا، بحيث لا يدخل فيها الحكمة والموعظة، ويتراكم عليها أصداء الغفلات و حجبها، فلا يتجلّى فيها عرائس المغيبات، ومنه قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[٥] أي: ينسيك ما آتاك من القرآن والحكمة.

قوله: «وهو»، يعني: حبّ الدنيا.

وإحباط الحسنة: إبطال أجرها وثوابها، ونظير هذا قوله ﷺ: حبّ الدنيا رأس كل خطيئة[٦].

---

١. سورة طه، الآية ١٣١.
٢. سورة الأحزاب، الآية ٤.
٣. سورة البقرة، الآية ٩٣.
٤. سورة البقرة، الآية ٧.
٥. سورة الشورى، الآية ٢٤.
٦. الخصال للصدوق، ص ٢٥.

[۲۵]

الحديث الخامس والعشرون[١]

عن عبد الله[٢] بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [أيها الناس][٣] إنما هو خير يُرجى، أو شرّ يُتّقى، أو[٤] باطل عرف فاجتُنب، أو[٥] حقٌّ تيقّن فطُلب[٦]، أو آخرة أظَلَّ[٧] إقبالها فسُعي لها، أو دنيا عرف[٨] نفادها فأُعرض عنها. وكيف يَعمل للآخرة من لا تنقطع من الدنيا[٩] رغبته، ولا تنقضي[١٠] فيها شهوته، إنَّ العجب كلَّ العجب لِمن صدَّق بدار البقاء وهو يسعى لدار الفناء! وعرف[١١] أن رضا الله في طاعته، وهو يسعى في مخالفته![١٢]

[الشرح]

«إنّما» كلمة موضوعة للحصر؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَاكِينِ﴾... الآية[١٣]، فالصدقات محصورة في الأصناف الثمانية مقصورة عليهم؛

---

١. روي هذا الحديث أو مقاطع منه مع اختلاف في الألفاظ في الكتب التالية: بحار الأنوار، ج ٧۴، ص ١٨٢؛ أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ٣۴٠؛ الفتوحات المكية، ج ۴، ص ۵۴٣.

٢. في «خ»: ـ«عبد الله».

٣. ما بين المعقوفتين من «خ».

۴. في «خ» والفتوحات المكية: «و».

۵. في الفتوحات المكية: «و».

۶. في البحار: «أو حق يتعين فطلب».

٧. في الفتوحات المكية: «أظلّ»، وأطلّ: قَرُبَ.

٨. في «خ» والفتوحات المكية: «أزف».

٩. العبارة في «خ» هكذا: «من لم ينقطع عن الدنيا»، وفي الفتوحات المكية: «من لا ينقطع عن الدنيا»، وفي البحار: «من لا ينقطع من الدنيا».

١٠. في «ش»: «ولا تنقص».

١١. في «خ»: «وعلم».

١٢. البحار، ج ٧٧، ص ١٨٢ عن أعلام الدين.

١٣. سورة التوبة، الآية ۶٠.

ولهذا قال ابن عباس: «لا تجري الربا إلّا في النسيئة؛ لقوله ﷺ: إنّما الربا في النسيئة».[١]

و «هو»: ضمير الشأن والأمر، تقديره: إنما أمرُ الناس وشأنهم محصور في هذه الأشياء الستة ومقصور عليها، وهي: رجاء الخير، واتّقاء الشر، واجتناب الباطل، وطلب الحق، والسعي للآخرة، والإعراض عن الدنيا.

«تيقّن»، أي: اعتقد أنّه يقين، وقد سبق تفسير اليقين في الحديث السادس عشر.

قوله: «أظلّ إقبالها»، أي: أشرف مجيئها وألقى ظلّه على أهل الدنيا.

«أزف»: قرب، ومنه قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾[٢] أي: قربت القيامة.

«إنّ العجب كل العجب»، كلمة «كل» تستعمل تارةً للتعميم كقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[٣]، وتارةً لتأكيد الجمع كقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[٤]، وتارةً للمبالغة؛ وذلك إذا كانت مضافةً الى قبلها، كقولك: العزُّ كلُّ العزّ في القناعة، والذُّلّ كلّ الذلّ في الحرص، ومعناه: أنّ عزّ القناعة ـ لعلوّ شأنه وسموّ مكانه ـ كأنّ جميع أنواع العزّ منحصرة فيه، حتىٰ لا عزّ إلّا هو، وكذا ذلّ الحرص كلّه لا ذلّ إلّا هو، فكذا قوله ﷺ: «إنّ العجب كلّ العجب» معناه: أنّ العجب من حال هذا الشخص المذكور يعمُّ جميع أنواع العجب ويستغرقها حتىٰ كأنّ العجب كلّه منحصر فيه.

[٢٦]

الحديث السادس والعشرون[٥]

عن أبي أيوب الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: حلّوا[٦] أنفسكم

---

١. راجع: التهذيب، ج ١، ص ٨٤، ح ٢٢٠.

٢. سورة النجم، الآية ٥٧.

٣. سورة آل عمران، الآية ١٨٥.

٤. سورة الحجر، الآية ٣٠.

٥. روي هذا الحديث أو مقاطع منه مع اختلاف في الألفاظ في الكتب التالية: بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٨٢؛ أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ٣٤٠؛ الفتوحات المكية، ج ٤، ص ٥٤٣.

٦. في «خ»: «أحلّوا».

الطاعة[۱]، وألبسوها قناع[۲] المخافة[۳]، واجعلوا[۴] آخرتكم لأنفسكم، وسعيكم لمستقرّكم، واعلموا أنّكم عن قليل[۵] راحلون، وإلى الله صائرون، ولا يغني عنكم هنالك[۶] إلاّ صالح عمل قدّمتموه، وحسن ثواب أحرزتموه[۷]؛ فإنّكم[۸] إنّما تقدمون على ما قدّمتم، وتجازون على ما أسلفتم، فلا تخدعنّكم زخارف دنيا دنيّة، عن مراتب جنّات عليّة[۹]، فكأن قد انكشف[۱۰] القناع، وارتفع[۱۱] الارتياب، ولاقى كل امرئٍ مستقرّه، وعرف مثواه ومنقلبه[۱۲].[۱۳]

[الشرح]

«حلّوا أنفسكم بالطاعة» أي: زيّنوها بالطاعة كما تزيّن العروس بالحليّ من الفضة والجواهر.

قوله: «وألبسوها قناع المخافة»، أي: اجعلوا الموت من الله كسوةً لها و لباساً.

«واجعلوا آخرتكم لأنفسكم»، أي: افعلوا في دنياكم الطاعات، واجتنبوا المعاصي؛ لتصير آخرتكم لأنفسكم بما يعود عليكم من نعيمها وثوابها.

«المستقر»: موضع القرار، والمراد به: الدار الآخرة، فمعناه: اجعلوا تعبكم

---

۱. في «خ» و «ش» والفتوحات: «بالطاعة».

۲. القناع: ما تغطّي به المرأة رأسها.

۳. في «خ» و البحار: «المخالفة».

۴. في أعلام الدين: «فاجعلوا»؟

۵. في «ش»: «قريب».

۶. في «خ»: «ولما يغني عنكم هناك».

۷. في «خ» و «ش»: «أو حسن ثواب حرزتموه»، وفي الفتوحات المكية: «أو حسن ثواب خرتموه».

۸. في «خ» و «ش» والفتوحات: «إنّكم».

۹. في «خ»: «فلا تخدعنّكم زخارف دنياكم عن جنّات عالية».

۱۰. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: «كشف».

۱۱. في «خ»: «فارتفع».

۱۲. في «خ» و الفتوحات وهامش «ش» في نسخة: «ومقيله».

۱۳. بحار الأنوار، ج ۷۷، ص ۱۸۲ عن أعلام الدين.

وكدّكم للآخرة لا للدنيا.

«عن قليل»: أي: عن زمان قليل.

«راحلون»: أي: مسافرون منتقلون.

«صائرون» أي: راجعون.

«هنالك» ظرف مكان، يعني ثمّة.

وقوله: «أو حسن ثواب» قيل: إنّ الشك من الراوي؛ لأنّ حسن الثواب هو ثمرة صالح العمل ونتيجته.

«حرزتموه» أي: جمعتموه.

«أسلفتم»: أمضيتم. «خدعته»: خَتْله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم.

«الزخارف»: جمع زخرف، وهو الزينة، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾[1] أي: ألوان نباتها وأزهارها، وأصل الزخرف: الذهب، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾[2] ثم شبّه [به][3] كل شيء مزيّن محسّن. قوله: «فكأن قد»، أصله: فكأنّه قد ـ بالتشديد ـ، والضمير للأمر والشأن، ثم خفّفت، والمعنىٰ: تقريب زمان كشف القناع وهو كشف الغطاء عن حقائق الأشياء بالموت أو بقيام الساعة؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[4].

و «الارتياب»: الشك.

«المثوى»: المقام.

«المقيل»: الموضع الذي يقال فيه، أي: يُنام وقت القائلة، وهي نصف النهار عند اشتداد الحر، والمراد به ـ هنا ـ: مطلق موضع الإقامة.

---

١. سورة يونس، الآية ٢٤.

٢. سورة الإسراء، الآية ٩٣.

٣. الزيادة اقتضاها السياق.

٤. سورة ق، الآية ٢٢.

[۲۷]

الحديث السابع والعشرون[1]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ في خطبة[2] [خطبها][3]: لا تكونوا ممن خَدَعَته[4] العاجلة، وغرّته الأُمنيّة[5]، فَاستهوته[6] الخُدَعَة[7]، فركن إلى دار سوء[8]، سريعة الزوال وشيكة الانتقال، إنّه لم يبق من دنياكم هذه في جنب ما مضى إلّاكإناخة راكب، أو صَرّ حالب[9]، فعلام تعرجون؟[10]، وماذا تنتظرون؟، فكأنّكم ـ والله ـ وما[11] أصبحتم فيه من الدنيا [كأن][12] لم يكن، وما تصيرون إليه من الآخرة [كأن][13] لم يزل، فخذوا الأهبة[14] لأُزوف[15]

---

۱. نهج السعادة، ج ۷ص ۶۱.

۲. في البحار: «في خطبته».

۳. ما بين المعقوفتين من «خ» و«ش».

۴. في «خ»: «أخدعته».

۵. في «خ»: «وغرته المنية».

۶. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: «واستهوته».

۷. أي الدنيا الخدّاعة الغرّارة، وفي «ش»:«البدعة».

۸. في البحار: «دار السوء». في «ش»: ـ«سوء».

۹. صرّ الحالب الناقة، وصرّ بالناقة: إذا شدّ ضرعها بالصرار؛ لئلاّ يرضع ولدها. والحالب: هو الذي يحلب الناقة أو الشاة، أي يخرج ما في ضرعها من اللبن. ومن العادة أن يصرّوا ضرع الناقة الحلوب إذا أرسلوها إلى المرعى، فإذا راحت إليهم عشياً حلّوا الصرار وحلبوها. (راجع: لسان العرب، ج ۵، ص ۴۵۱ «صرر»).

۱۰. في «خ»: «فعلى مَ تعرجون؟»، وفي البحار: «فعلى مَا تعرجون؟»، والعروج: الإقامة، وعرج فلان على المنزل: حبس مطيّته عليه وأقام.

۱۱. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: «بما قد».

۱۲. ما بين المعقوفتين من «خ» والفتوحات المكية.

۱۳. ما بين المعقوفتين من «خ» والفتوحات المكية.

۱۴. في البحار: «أهبّة»، والأهبّة: الاستعداد.

۱۵. يقال: أزف شخوص فلان أزفاً وأزوفاً: أي قرب. (مجمع البحرين، ج ۵، ص ۲۳ «أزف»).

النقلة[١]، وأعدّوا الزاد لقرب الرحلة، واعلموا أنّ كلّ امرئٍ [على][٢] ما قدّم قادم، وعلى ما خلّف نادم.[٣]

[الشرح]

«خدعه» و«اختدعه» بمعنىً واحد، أي: خَتَلَه وأراد به المكروه من حيث لا يعلم.

«العاجلة»: الدنيا، وهو صفة لمحذوف، [الآجلة][٤] الآخرة: وهو صفة لمحذوف، تقديره: الدار العاجلة والدار الآجلة. «غرّه يغرّه غروراً»: إذا أراه أمراً ظاهره حَسَنٌ محبوب و باطنه قبيح مكروه، فالمغرور بالشيء يَعلم حقيقته... إلّا أنّه لا يعلم سوء عاقبته، والمخدوع بالشيء لا يعلم تمام حقيقته غالباً ولا يعلم سوء عاقبته. فالإخفاء في الخديعة أكثر منه في الغرور. وهذا هو الفرق بينهما.

«الأُمنيّة»: ما يتمنّاه الإنسان، أي: يشتهيه، والجمع الأمانيّ ـ بتشديد الياء ـ.

«استهوته»، سبق ذكر تفسيره في الحديث الأوّل.

«الخُدَعَة» ـ بضم الخاء وفتح الدال ـ: الكثيرة الخدع، ومنه قوله ﷺ في إحدى الروايات الثلاث: الحرب خدعة[٥]، أي: كثيرة الخدع لأهلها، والمراد بالخدعة هنا: الدنيا، ولم يخلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخدع للإنسان من النفس والشيطان، ولا سبيل لهما الى خديعة الإنسان إلّا بواسطة زخارف الدنيا و شهواتها ولذّاتها، فثبت أنّ الدنيا في الحقيقة هي الخدعة، ولهذا قدّمها الله تعالى في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ﴾[٦] يعني: الشيطان.

«كَنَّ إلى كذا»: أي: مال اليه وسكن.

---

١. في البحار: «لا زوال لنقله»، والنقلة: الانتقال، وهو كناية عن قرب الموت.

٢. من البحار والفتوحات المكية.

٣. البحار، ج ٧٧، ص ١٨٣، وهذا الحديث لم يرد في الفتوحات المكية.

٤. الزيادة اقتضاها السياق.

٥. الكافي، ج ٧، ص ٤٦٠، ح ١.

٦. سورة لقمان، الآية ٣٣.

«الوشيكة»: السريعة أيضاً.

قوله: «في جنب ما مضى»، أي: بالنسبة إلى ما مضى، يقال: هذا قليل في جنب هذا، يعني قليل إذا وضع إلى جنبه ثم قيس به.

والمراد بإناخة الراكب: إجلاسه بعيره ليركبه.

«صرّ ناقته»: إذا شدّ عليها الصرار، وهو خيط يربط بها ضرع الناقة فوق عودٍ؛ لئلا يرضعها ولدها.

«فعلام» أي: فعلى أيّ شيء، فما استفهامية حذف ألفها تخفيفاً، ومنه قولهم: حتىٰ مَ؟ وإلى مَ؟ وعمّ؟ وفيم؟ ولم؟ وبم؟ معناه: حتىٰ ما؟ وإلى ما؟ وكذا الباقي.

و «التعريج»: الإقامة، فمعناه: فعلى أيّ شيء تقيمون إذا كان منزلكم وهو الدنيا هذه صفتها؟

«ماذا؟»، أي: ما الذي؟ فذا بمعنى الذي، ويحتمل أن يكون ماذا بمنزلة اسم واحد، أي: وما تنتظرون؟ وجوابه على الوجه الأوّل يكون مرفوعاً، وعلى الوجه الثاني يكون منصوباً. وقرئ قوله تعالى: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[1] بالرفع والنصب.

«كأن لم يكن... وكأن لم يزل» أي: كأنّه لم يكن وكأنّه لم يزل، ثمّ خففت، وقد ذكرناه قُبَيل هذا.

«الأهبّة»: العدّة.

«الأزوف»: القرب، مصدر أزف يأزف أي: قرب، وقد سبق ذكره مرّةً في «الحديث الخامس والعشرون».

«النقلة»: اسم من الانتقال.

«أعدُّوا»: هيِّؤوا.

«الزاد»: طعام السفر، و زاد الآخرة: التقوى والعمل الصالح.

«الراحلة» و «الرحيل»: السفر والانتقال، والمراد بها سفر الآخرة.

---

١. سورة البقره، الآية ٢١٩.

«على ما قدّم قادم» يعني: أنّه يُبعث بعد الموت ويرى جميع أعماله التي قدّمها في الدنيا من الخير والشر؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً﴾[١].

«خلّف»، أي: ترك خلفه بعد موته، وإنّما يندم عليه لأنّه لم يقدمه لآخرته، وتركه لغيره ليتنعّم به ويتلذّذ، وحسابه على من جمعه وخلّفه.

[٢٨]

الحديث الثامن والعشرون[٢]

عن عبد الله[٣] ابن عبّاس ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيها الناس، بسيط[٤] الأمل متقدّم حلول[٥] الأجل، والمعاد مضمار العمل، فمغتبط[٦] بما احتَقَبَ غانم، ومبتئس[٧] بما فاته [من العمل][٨] نادم[٩].

أيها الناس، إنَّ[١٠] الطمع فقر، واليأس غنى، والقناعة راحة، والعزلة عبادة، والعمل كنز، والدنيا معدن، والله ما يسرّني[١١] ما مضى من دنياكم هذه بأهداب بردي هذا، ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء، وكلٌّ إلى نفاذ[١٢] وشيك، وزوال قريب، فبادروا العمل[١٣] وأنتم في مهل

---

١. سورة الكهف، الآية ٤٩.

٢. روي هذا الحديث أو مقاطع منه مع اختلاف في الألفاظ في الكتب التالية: أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ٣٤١؛ الفتوحات المكية، ج ٤، ص ٥٤٤.

٣. في «خ»: ـ«عبد الله».

٤. في «خ»: «بسط»، وفي البحار: «بسط».

٥. في «ش»: «لحلول».

٦. في «خ»: «فاغتبط»، وفي الفتوحات المكية: «ومغتبط».

٧. في «خ»: «ومستبشر»، وفي البحار: «ومتيسّر»، والمتيسّر هو الذي يمكنه أن يفعل ما يشاء من الخيرات.

٨. ما بين المعقوفتين من «خ» والفتوحات المكية.

٩. في «خ»: + «وشاهد».

١٠. في «خ»: «أما».

١١. في «خ»: «يسرّ لي» أو «يسرّ بي»، وفي «ش»: «يسوي».

١٢. كذا في «خ» والفتوحات المكية، وفي غيرهما: «بقاء».

١٣. في الفتوحات المكية: ـ«العمل»، و«خ»: ـ«فبادروا العمل». وفي أعلام الدين: «فبادروا العلم».

الأنفاس، وجِدَّة الأحلاس[1]، قبل أن تؤخذوا[2] بالكظم فلا ينفع[3] الندم.[4]

[الشرح]

«بسيط الأمل»: موسَّعه و مبسوطه، فعيل بمعنى مفعول، ومنه: بسيط الأرض، وهو وجهها، ويقال: «أصاب الأرض بسيط» أي: مطر منبسط.

«الأجل» مدة العمر.

«المعاد»: المصير والمرجع، يكون مصدراً بمعنى العود، ويكون مكاناً للعود، ومنه: الآخرة معاد الخلق، أي: موضع عودهم بعد موتهم.

«المضمار»: موضع تضمير الخيل، وهو علفها للسمن، ومدّة تضميرها أيضاً، وهي أربعون يوماً وهو استعارة هنا، ومعناه: أنّ في الآخرة يتبيَّن سمن الأعمال وهزالها. أو معناه: أنّ الأعمال مدّخرة في الآخرة لوقت السباق بها، وهو وقت العرض والحساب، وفي حديث حذيفة: اليوم مضمار، وغداً السباق[5]، يعني: اليوم العمل في

---

١. في «خ»: «الاجلاس».

٢. في «ش»: «يؤخذ».

٣. في «ش»: «ولا يغني». في «خ»: «يؤخذ بالكظم فلا يغني»، وفي الفتوحات: «يؤخذ بالكظم ولا يغني».

٤. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٨٣ عن أعلام الدين.

٥. بحار الأنوار، ج ۶۵، ص ٣۶٠. وفي نهج البلاغة، ج ١، ص ٧٠ ـ ٧٣، ما نصه: «ومن خطبة له ﷺ: أما بعد: فإنّ الدنيا قد أدبرت و آذنت بوداع، وإنّ الآخرة قد أشرفت باطّلاع، ألا وإنّ اليوم المضمار، وغداً السباق، والسبقة الجنة، والغاية النار. أفلا تائب من خطيئته قبل منيّته؟ ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه؟ ألا وإنّكم في أيّام أمل من ورائه أجل؛ فمَن عمل في أيام أمله قبل حضور أجله نفعه عمله ولم يضرره أجله، ومن قصَّر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضرَّه أجله. ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة. ألا وإنّي لم أر كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها. ألا وإنه من لا ينفعه الحقُّ يضرره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى يجرُّ به الضلال إلى الردى. ألا وإنكم قد أُمرتم بالظعن، ودللتم على الزاد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى وطول الأمل. تزوَّدوا من الدنيا ما تحرزون أنفسكم به غداً.

وقال الشريف الرضي:

أقول: لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا ويضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام.

←

الدنيا للاستباق إلى الجنة، كالخيل تضمر قبل ان يسابق عليها.

«المغتبط» ـ بكسر الباء ـ: المغبوط، تقول: غبطته فاغتبط، كما تقول: منعتُهُ فامتنع وحبسته فاحتبس، أي: تمنَّيتَ مثل حاله الحسن من غير أن تريد زوالها عنه، وفي الحسد: تريد زوالها عنه إليك، فهذا هو الفرق بين الغبطة والحسد، والغبط: الاسم، وهي حسن الحال، ومنه قولهم: اللهمَّ غبطاً لا هبطاً، أي: نسألك الغبطة، ونعوذ بك أن نهبط عن حالتنا. والمراد من المغتبط ـ في الحديث ـ: الفرح المسرور.

«بما احتقب»، أي: جمعه وشدَّه خلفه من الأعمال الصالحة، وهو استعارة من حقيبة المسافر، وهي الوعاء الذي يضع فيه متاعه ويشدّه خلفه.

«الغانم»: آخذ الغنيمة.

«المبتئس»: الكاره الحزين.

وإنّما كان الطمع فقراً لأنّ بالطمع لا يكفيه شيء، بل كلّما حصل له شيء طلب الزيادة عليه.

واليأس: قطع الرجاء والأمل، وهو ضدّ الطمع؛ وإنّما كان اليأس غنىً لأنّ من قطع طمعه عن فضول الدنيا كفاه كلُّ شيء.

وكون «القناعة راحة» أظهر من أن يحتاج الى شرح.

«العزلة»: اسم من الاعتزال، وهو الانفصال عن الشيء والتباعد عنه؛ وإنّما كان «العزلة عبادة» لأنّها أقرب إلى السلامة؛ من حيث إنّها تكفُّ السمع والبصر واللسان

ـ وكفى به قاطعاً لعلائق الآمال وقادحاً زناد الاتّعاظ والازدجار. ومن أعجبه قوله ﷺ: ألا وإنّ اليوم المضمار وغداً السباق، والسبقة الجنّة والغاية النار؛ فإنّ فيه ـ مع فخامة اللفظ وعظم قدر المعنى وصادق التمثيل وواقع التشبيه ـ سرّاً عجيباً ومعنى لطيفاً وهو قوله ﷺ: والسبقة الجنّة والغاية النار، فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين. ولم يقل السبقة النار كما قال: السبقة الجنة؛ لأنّ الاستباق إنّما يكون إلى أمر محبوب وغرض مطلوب، وهذه صفة الجنة، وليس هذا المعنى موجوداً في النار، نعوذ بالله منها، فلم يجز أن يقول: والسبقة النار، بل قال: والغاية النار؛ لأنّ الغاية ينتهي إليها من لا يسرُّه الانتهاء ومن يسرُّه ذلك، فصلح أن يعبّر بها عن الأمرين معاً، فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾، ولا يجوز في هذا الموضع أن يقال: سبقتكم ـ بسكون الباء ـ إلى النار، فتأمل ذلك؛ فباطنه عجيب وغوره بعيد، وكذلك أكثر كلامه ﷺ.

واليد والرجل عن كسب الآثام، وتُعِين على التفرُّغ للعبادة والإخلاص فيها وحضور القلب معها؛ فإنّ المتعاونين على البر والتقوى والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في زماننا قليلون جدّاً، ولهذا قال النبيﷺ: **أحبّ الناس الى الله تعالى: الفرّارون بدينهم، يبعثهم [الله] مع عيسى بن مريم يوم القيامة**[1]. وقيل للشافعي: «من أعقل الناس؟ فقال: من اعتزل عن الناس»، وهذا كلُّه في ذلك الزمان، فكيف في زماننا هذا؟ الذي اجتمع فيه جماعة قلّما يتذاكرون العلوم الدينية والحكم والمواعظ وأحوال الآخرة، بل أكثر حديثهم: الغيبة والتملُّق والنفاق ومدح أنفسهم وجلسائهم بما ليس فيهم، وذكر أحوال الدنيا والبحث عن أخبار أهلها، والتفحّص عما لا يلزمهم ولا يغنيهم في دينهم، بل يضرّهم قوله وسماعه.

قوله: «والعمل كنز، والدنيا معدن» معناه: أنّ العمل الصالح يستخرجه المؤمن من الدنيا ويكنزه للآخرة، كما يستخرج أبناء الدنيا الذهب والفضّة من المعادن ويكنزهما لدنياهم.

«الأهداب» جمع هدب، وهو ما استرجل من طرف الرداء أو الكساء ونحوهما، ومنه: أهداب العين، وهو ما نبت من الشعر على أشفارها.

البُرد ـ من الثياب ـ: معروف، والمعنى: أنّ جميع ما مضى من الدنيا لو دفع بأهداب هذا البرد لما سرّني ذلك، يعني: قيمتها أقلّ من ذلك في نظرهﷺ.

قوله: «أشبه من الماء بالماء» مبالغة في تشبيه ما بقي من الدنيا بما مضى منها، وهو مِن أحسن المبالغات؛ فإنّ الماء شديد الشبه بالماء، لا سيّما في المنظر، وكذا في جميع الصفات، إذا كان معدنهما و أصلهما واحداً.

قوله: «وكلٌّ إلى نفاد»: وكل شيء بقي من الدنيا مصيره إلى فناء سريع.

«فبادروا» أي: فسارعوا، والمراد به: المسارعة إلى الطاعات والأعمال الصالحات.

«المهل» ـ بفتح الهاء وسكونها ـ: المهلة، والمراد بمهل الأنفاس: مهلة

---

١. معجم أحاديث الإمام المهدي، ص ٨٠، وراجع: حلية الأولياء، ج ١، ص ٢٥ وكنز العمال، ج ١، ص ٣٩٢، ح ١٦٨٩.

ما بقي من الحياة.

«الجِدَّة»: ضد العتاقة، وهو مصدر الجديد.

والأحلاس: جمع حلس، وهو كساء رقيق يوضع على ظهر البعير، تحت القَتَب والرحل، ومنه قولهم: «فلان حلس فلان» أي: ملازمه، و«فلان حلس بيته» إذا كان قليل الخروج منه. كنّى ﷺ بجدة الأحلاس عن عنفوان الشباب وطراوة الجلود.

«الكظم» ـ بسكون الظاء ـ: مخرج النفس، وهو الحلق، وتحريكه لم أقف عليه في كتب اللغة، لكن في بعض كلمات أبي القاسم الحريري: «وقد جاء أيضاً في شعر عبد المطلب يصف أبرهة حين انهزم:

فأنثنى عنه وفي أوداجه ... حارج أمسك منه بالكظم[1]

وفي شعر محمّد بن البعيث الربيعي:

كم قد قضيت أموراً كان أهملها ... غيري وقد أخذ الإفلاس بالكظم[2]

---

١. في تاريخ اليعقوبي (ج ١، ص ٢٥٤)، ما نصه: «وقال عبد المطلب لما كان من أصحاب الفيل ما كان:

أيها الداعي لقد أسمعتني ... ثم ناد، عن نداكم، من صمم
هل يد الله أمر، أم له ... سنة في القوم ليست في الأمم
قلت، والأشرم تردي خيله ... إن ذا الأشرم غرّ بالحرم
إنّ للبيت لربّاً مانعا ... من يردّه بأثام يصطلم
رامه تبع، فيما قد مضى ... وكذا حمير، والحي قدم
فانثنى عنه، وفي أوداجه ... حارج أمسك منه بالكظم
هلكت بالبغي فيه جرهم ... بعد طسم، وجديس، وجمم
وكذا الأمر بمن كاده بحر ... ب، فأمر الله بالأمر اللمم
نعرف الله، وفينا سنّة ... صلة الرحم، وإيفاء الذمم
لم يزل لله فينا حجة ... يدفع الله بها عنّا النقم
نحن أهل الله في بلدته ... لم يزل ذاك على عهد ابرهم

٢. في تاريخ الطبري (ج ٧، ص ٣٥٤) ما نصه: «وحدثني آنه: أنشدني بالمراغة جماعة من أشياخها أشعاراً لابن البعيث بالفارسية، ويذكرون أدبه وشجاعته وله أخبار وأحاديث، وحدثني بعض من ذكر أنه شهد المتوكّلَ حين أتى بابن البعيث وكلّمه ابن البعيث بما كلّمه به، فتكلّم فيه المعتزّ وهو جالس مع أبيه

والمراد في الحديث: انقطاع النفس بالموت.

[۲۹]

الحديث التاسع والعشرون[۱]

عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ: تكون أُمّتي في الدنيا على[۲] ثلاثة أطباق:

أمّا الطبق الأوّل: فلا يحبّون[۳] جمع المال وادّخاره، ولا يسعون في اقتنائه واحتكاره، و[۴] إنّما رضاهم من الدنيا [ما][۵] سدّ جوعة وستر عورة، وغناهم[۶] فيها ما بلغ بهم[۷] الآخرة، فأُولئك الآمنون[۸] الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وأما الطبق الثاني: فإنّهم يحبّون جمع المال من أطيب وجوهه، وأحسن سبله[۹]، يَصلون به أرحامهم، ويبرّون به[۱۰] إخوانهم، ويواسون به فقراءهم، ولعَضُّ[۱۱] أحدهم على

← المتوكل، فاستوهبه فوهب له وعفى عنه، وكان ابن البعيث حين هرب قال:

كم قد قضيت أموراً كان أهملها — غيري وقد أخذ الإفلاس بالكظم
لا تعذليني فيما ليس ينفعني — إليك عنّي جرى المقدار بالقلم
سأتلف المال في عسر وفي يسر — إنّ الجواد الذي يعطي على العدم

۱. عدة الداعي، ص ۹۲.
۲. كذا في البحار والفتوحات المكية، ولم ترد «على» في غيرهما.
۳. في «ش» و «خ» والفتوحات المكية: «فلا يرغبون في».
۴. في «خ» والفتوحات المكية: ـ«و».
۵. ما بين المعقوفتين من «ش».
۶. في «خ»: «وعناهم».
۷. في «ش» والفتوحات: ـ«بهم».
۸. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: ـ«الآمنون».
۹. في «خ»: «فيحبون جمع المال» من أطيب سبله وصرفه في أحسن وجوهه»، وفي «ش» والفتوحات المكية: «فيحبون جمع المال من أطيب سبيله وصرفه في أحسن وجوهه». وفي البحار: «وأحسن سبيله».
۱۰. في «خ»: +«أرحامهم».
۱۱. عضّ على الشيء: أمسكه بأسنانه. وعضّ عليه بالنواجذ، مثل في شدّة الاستمساك به، والنواجذ: هي

الرضف[١] أيسر[٢] عليه من أن يكتسب[٣] درهماً من غير حلّه [أو يضعه في غير وجهه][٤] أو يمنعه من حقّه، أن يكون[٥] له خازناً إلى حين موته؛ فأُولئك الذين إن نوقشوا عُذِّبوا، وإن عُفِيَ عنهم سلموا.

وأما الطبق الثالث: فإنّهم يحبُّون[٦] جمع المال ممّا حلّ وحَرَم، ومنْعَه مما افترض ووجب[٧]، إن أنفقوه أنفقوه[٨] إسرافاً وبداراً، وإن أمسكوه أمسكوه[٩] بخلاً واحتكاراً، أُولئك[١٠] الذين ملكت الدنيا أزمّة[١١] قلوبهم، حتى أوردتهم النار بذنوبهم.[١٢]

[الشرح]

«الطبق» و «الطبقة»: الجماعة من الناس والطائفة.

والطبق ـ أيضاً ـ: القرن والعالم، يقال: مضى طبق وأتى طبق، أي: مضى قرن وأتى قرن، ومنه قول العباس عليه السلام: «إذا مضى عالم بدا طبق»[١٣].

أواخر الأسنان. (راجع: مجمع البحرين: «عضض»).

١. في البحار: «على الرضيف» وفي الفتوحات المكية: «الرصف» وهو تصحيف.

٢. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: «أسهل».

٣. في الفتوحات المكية: «يكسب».

٤. ما بين المعقوفتين من «ش».

٥. في «خ»: «أو أن يضعه في غير وجهه أو أن يكون»، وفي الفتوحات المكية: «وأن يضعه في غير وجهه وأن يمنعه من حقّه أو يكون».

٦. في «خ»: «فهم يحبون»، وفي الفتوحات المكية: «فيحبُّون».

٧. في «خ» والفتوحات المكية: «أو وجب».

٨. في أعلام الدين: «أنفقوا». وبداراً، أي سراعاً.

٩. كذا في الفتوحات المكية، وفي غيرها: «أمسكوا».

١٠. في «خ»: «فأولئك».

١١. كذا في الفتوحات المكية، وفي غيرها: «زمام».

١٢. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٨٤ عن أعلام الدين.

١٣. تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٣٥٤، وانظر: مجمع البيان، ج ٩، ص ٦٤، ونقل العلامة المجلسي في بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٨، عن مناقب آل أبي طالب (ج ١، ص ٢٧)، مما أنشد العباس في النبي صلى الله عليه وآله،

«ادّخار المال وغيره»: جعله ذخيرة، أي: عدّةً لزمان مستقبل، واقتناؤه: إمساكه لا للتجارة، بل للنتاج ونحوه، واحتكاره: حبسه، ومنه: احتكار الطعام.

«إنّما رضاهم من الدنيا» أي: مرضيّتهم منها، فالمراد بالمصدر المفعول به، كقولهم: رجل رضيّ، أي: مرضيّ.

و «يبرّون به إخوانهم»، أي: يحسنون إليهم به ويلطفونهم، ومنه: الرجل البر: البار، وهو الذي حسنت طاعته وصلح عمله.

و «يواسون به فقراءهم» أي: يجعلونهم أُسوتهم فيه.

«الرضف»: الحجارة المحماة يوغر بها اللبن، أي: يسخَن، الواحدة: رضفة، وفي المثل: «خُذ من الرضفة ما عليها»، أي: خذ من البخيل ما وجدته وإن قلّ.

«المناقشة»: الاستقصاء في الحساب، وفي الحديث: من نوقش في الحساب عذّب.[1]

قوله ﷺ: «مما افترض أو وجب» يدلّ على الفرق بين الفرض والواجب، كما ذهب اليه بعض العلماء، فالفرض: ما ثبت بدليل مقطوع به كالكتاب والسنة المتواترة أو الإجماع. والواجب: ما يثبت بدليل فيه شبهة العدم.

«الإسراف»: مجاوزة حد الاعتدال في النفقة وغيرها، وقيل: الإسراف في المال: هو إنفاقه في المعصية سواء قل أو كثر، حتّى قال مجاهد: «لو أنفقت مثل جبل أبي

← قوله:

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبط البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسراً وأهله الغرق

تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق

حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض ... وضاءت بنورك الأفق

فنحن في ذلك الضياء وفي ... النور وسبل الرشاد نخترق

فقال رسول الله ﷺ: لا يفضض الله فاك. شَرَحَ العلامة المجلسي في البيان هذه الأبيات فراجع.

١. في بعض المصادر ومن جملتها بحار الأنوار، ج ٧، ص ١٤٧: «من نوقش الحساب عذّب».

قبيس ذهباً في طاعة الله تعالى لم تكن مسرفاً، ولو أنفقت درهماً أو مدّاً من طعام في معصيته كنت مسرفاً»[١].

«البدار»: أظنّه بمعنى التبذير، ولا أنقله.

«الأزمّة»: جمع زمام، وهو الخيط الذي يشدُّ في الحلقة، أو في العود الذي يكون في أنف البعير، ثم يشدُّ في طرفه المقود، وقد يسمَّى المقود: زماماً.

«أوردتهم»: أدخلتهم.

[٣٠]

الحديث الثلاثون[٢]

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **[أيها الناس][٣] إنّ من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط [الله تعالى][٥]، وأن تحمدهم على رزق الله [تعالى]، وأن تذمّهم على ما لم يؤتك[٦] الله، إنّ رزق الله[٧] لا يجرّه حرص حريص، ولا يردّه [عنك][٨] كراهة[٩] كاره، إنّ الله ـ تبارك اسمه ـ بحكمته[١٠] جعل الروح[١١] والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهمّ والحزن في الشكّ والسخط.**

---

١. في تفسير السمرقندي (ج ٢، ص ٣٠٨) ما نصه: «وروي عن عثمان بن الأسود أنّه قال: سمعت مجاهداً ونحن نطوف بالبيت ورفع رأسه إلى أبي قبيس، وقال: لو كان أبو قبيس ذهباً لرجل فأنفقه في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفاً، ولو أنفق درهماً في طاعة الشيطان كان مسرفاً».

٢. الجامع الصغير، ج ١، ص ٣٨٢؛ كنز العمال، ج ٣، ص ٢٣٧.

٣. في «ش» زيادة: «حديث معظمه ذكر علامة ضعف اليقين والحث على العمل للآخرة».

٤. ما بين المعقوفتين من «ش».

٥. ما بين المعقوفتين لم يرد في «ش».

٦. في «ش»: «يؤتكه».

٧. ما بين المعقوفتين لم يرد في «خ».

٨. ما بين المعقوفتين من «ش».

٩. في الفتوحات المكية: «كراهية».

١٠. في الفتوحات المكية: ـ «بحكمته». وفي «خ»: «إنّ الله ـ تبارك وتعالى اسمه ـ بحكمة».

١١. في لسان العرب (ج ٢، ص ٤٥٩): «قوله تعالى: ﴿فروح وريحان﴾، على قراءة من ضم الراء، تفسيره:

إنّك لن تدع شيئاً لله[1] إلاّ آتاك الله خيراً منه، وإن تأتي شيئاً تقرُّباً لله تعالى إلاّ أجزل الله لك الثواب عنه[2]. فاجعلوا همّتكم الآخرة[3] لا ينفد فيها ثواب المرضيّ عنه، ولا ينقطع فيها عقاب المسخوط عليه.[4]

[الشرح]

«اليقين»: سبق تفسيره في الحديث السادس عشر.

«السخط» ـ بفتحتين، وبضمّة بعدها سكون ـ : ضد الرضا.

والمراد بإرضاء الناس بسخط الله: أن يتقرَّب إليهم بما يَكون معصية عند الله تعالى، كالظلم والكذب والغيبة والنميمة والتملّق والنفاق، ومدحهم بما ليس فيهم، ومعاونتهم على الإثم والعدوان، وما أشبه ذلك.

«تبارك وتعالى اسمه»، معناه: تعالى وتعاظم، وقيل: هو تفاعل من البركة، وهي الكثرة والاتّساع، فمعناه: كثرت بركته واتّسعت، وقيل: هو تَفاعَلَ بمعنى فاعَلَ، كقولهم: قاتَلَ يقاتل، فمعناه: أنّ اسمه ـ تبارك وتعالى ـ في كل شيء يذكر عليه و يبتدأ به.

«الرَّوح» ـ بالفتح ـ : الراحة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾[5].

⇐ فحياة دائمة لا موت معها، ومن قال فرُوح فمعناه: فاستراحة، وأما قوله: وأيدهم بروح منه، فمعناه برحمة منه، قال: كذلك قال المفسرون، قال: وقد يكون الرَّوح بمعنى الرحمة، قال الله تعالى: ﴿لا تيأسوا من روح الله﴾، أي من رحمة الله، سمّاها روحاً لأنّ الروح والراحة بها». وفي مجمع البحرين (ج ٢، ص ٢٣٦): الروح بفتح أوّله: الراحة والاستراحة والحياة الدائمة، وبضمّه: الرحمة؛ لأنّها كالروح للمرحوم، وقد قرئ بالوجهين قوله تعالى: ﴿فروح وريحان﴾.

١. في الفتوحات المكية: «تقرباً إلى الله».

٢. في «ش»: «عليك». وفي الفتوحات المكية العبارة هكذا: «إنّك لم تدع شيئاً تقرباً إلى الله إلاّ أجزل لك الثواب عليه».

٣. في «ش» و «خ» والفتوحات المكية: «فاجعل همّك وسعيك لآخرة».

٤. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٨٥، عن أعلام الدين.

٥. سورة الواقعة، الآية ٨٩.

و «الرضا» سبق ذكره في الحديث السادس.
«الهمّ» و «الحزن» بمعنى واحد، فيكون ذكر الثاني تأكيداً.
«الشكّ»: ضدّ اليقين.
«أجزل» أي: أكثر. همّك: إرادتك وقصدك.
«لا ينفدُ»، أي: لا يفنىٰ.

[٣١]

الحديث الحادي والثلاثون[١]

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **ليس شيء يباعدكم من[٢] النار إلّا وقد ذكرته لكم، ولا شيء يقرّبكم من الجنّة[٣] إلاّ وقد دللتكم عليه. إنَّ روح القدس نفث في روعي أنه لن يموت عبد منكم[٤] حتى يستكمل رزقه، فأجملوا في الطلب، فلا[٥] يحملنَّكم استبطاء الرزق على أن تطلبوا شيئاً من فضل الله بمعصيته: فإنَّه لن ينال[٦] ما عند الله إلاّ بطاعته. ألا وإنَّ لكل امرئٍ رزقاً هو يأتيه لا محالة، فمن رضي به بورك له فيه ووسعه[٧]، ومن لم يرض به لم يبارك له فيه ولم يسعه[٨]، إنّ الرزق ليَطلب الرجل كما يطلبه أجله.**[٩]

[الشرح]

---

١. الأصول الستة عشر لعدّة محدّثين، ص ١٥٣؛ تحف العقول، ص ٤٠؛ وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨؛ عدة الداعي، ص ٧٣؛ عوالي اللئالي، ج ٣، ص ٢٠٢؛ بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٦؛ كتاب المسند للإمام الشافعي، ص ٢٣٣؛ مجمع الزوائد للهيثمي، ج ٤، ص ٧٠.

٢. في «ش»: «عن».

٣. في «خ»: «إلى الجنة».

٤. في «خ»: - «منكم».

٥. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: «ولا».

٦. في «ش» والفتوحات المكية: «لا ينال».

٧. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: «فوسعه».

٨. في «خ» و «ش»: «فلم يوسعه».

٩. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٨٥ عن أعلام الدين.

«باعده» و «بعّده» و «أبعده» كلّه بمعنى واحد.

«روح»: جبرئيل عليه السلام[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[2]؛ وإنّما سمّي بذلك لأنّه خُلِقَ من محض الطهارة و القدس ـ بضمّ الدال وسكونها وقرئ بهما ـ.

«نفث في رُوعي» بضمّ الراء: ألقى في قلبي وعقلي، وأوحى إليّ، والنفث: شبيه بالنفخ، وهو أقلُّ من التفل؛ لأنّ التفل يكون معه شيء من الريق، بخلاف النفث، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾[3] يقال: نفث الراقي، ونفث الساحر ينفِث وينفُث، بكسر الفاء وضمّها.

«فأجمِلوا في الطلب» أي: ارفقوا فيه ولا تغلوا.

«استبطاؤه»: عَدُّه بطيئاً.

«لا مَحالة» ـ بفتح الميم ـ أي: لابدّ له من إتيانه، يعني: لا فراق.

[٣٢]

الحديث الثاني والثلاثون[4][5]

[عن عيسى بن عمر، عن معاوية][6] قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول في خطبة أحد العيدين: **الدنيا دار بلاء، ومنزل بلغة وعناء[7]، قد نزعت عنها نفوس السعداء، وانتزعت**

١. بل هو غير جبرائيل، وهو خلق أعظم من الملائكة؛ بقرينة العطف عليها في سورة القدر.

٢. سورة البقرة، الآية ٨٧.

٣. سورة الفلق، الآية ٤.

٤. روي هذا الحديث أو مقاطع منه مع اختلاف في الألفاظ في الكتب التالية: بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٨٥؛ أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ٣٤٢؛ الفتوحات المكية، ج ٤، ص ٥٤٤.

٥. في «ش» زيادة: «حديث معظمه ذمّ الدنيا، ومدح تاركها».

٦. ما بين المعقوفتين لم ترد في «خ». وورد في أعلام الدين والبحار، ولم نجد في المعاجم الرجالية رواية عيسى بن عمر عن معاوية، والظاهر أنّ الصواب روايته عنه بواسطتين هما: عبد الله بن علقمة بن وقّاص عن أبيه عن معاوية، إن كان المراد من معاوية هو ابن أبي سفيان، انظر: أسد الغابة، ج ٤، ص ٣٨٧؛ تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٨٠ و ج ٨، ص ٢٢٤.

٧. في «ش» والفتوحات المكية: «ومنزل قُلعة وعناء». والبلغة والبلاغ: ما يكفي من العيش ولا يفضل.

بالكره من أيدي الأشقياء، فأسعدُ[١] الناس بها أرغبهم عنها، وأشقاهم[٢] بها أرغبهم فيها، فهي[٣] الغاشَّة لمن استنصحها[٤]، والمغوية لمن أطاعها، والخاترة[٥] لمن انقاد إليها[٦]، والفائز[٧] من أعرض عنها، والهالك من هوى فيها.

طوبى لعبد اتّقى فيها[٨] ربّه [ونصح نفسه][٩] وقدّم توبته، وغلب[١٠] شهوته من قبل أن تُلقيه[١١] الدنيا إلى الآخرة، فيصبح في بطن [أرض][١٢] موحشة[١٣] غبراء مدلهمّة ظلماء، لا يستطيع أن يزيد في حسنة[١٤]، ولا[١٥] ينقص من سيِّئة[١٦]، ثم ينشر فيحشر إمّا إلى جنّة يدوم نعيمها، أو إلى نار[١٧]

← والعناء: التعب. وفي لسان العرب؛ (ج ٨، ص ٢٩٠): الدنيا دار قلعة، أي انقلاع. ومنزلنا منزل قلعة - بالضم - أي لا نملكه. ومجلس قلعة إذا كان صاحبه يحتاج إلى أن يقوم مرّة بعد مرّة. وهذا منزل قلعة أي ليس بمستوطن. ويقال: هم على قلعة أي على رحلة. وفي حديث علي كرّم الله وجهه: أُحذِّركم الدنيا؛ فإنّها منزل قلعة، أين تحوُّل وارتحال. والقلعة من المال: ما لا يدوم. والقلعة أيضاً: المال العارية. وفي الحديث: بئس المال القلعة، قال ابن الأثير: هو العارية؛ لأنّه غير ثابت في يد المستعير ومنقلع إلى مالكه.

١. في الفتوحات المكية: «وأسعد».
٢. في البحار: «وأشغلهم».
٣. في «خ» والفتوحات المكية: «هي».
٤. في «ش» والفتوحات المكية: «انتصحها».
٥. في الفتوحات المكية: «والخائرة».
٦. في «ش»: «لها».
٧. في «خ»: «فالفائز».
٨. في البحار: «منها».
٩. ما بين المعقوفتين من «خ»، وفي الفتوحات المكية: «وناصح نفسه».
١٠. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: «وأخّر».
١١. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: «تلفظه».
١٢. ما بين المعقوفتين من «ش».
١٣. في «خ»: «موحش».
١٤. في البحار: «حسنته».
١٥. في «ش»: «ولا أن».
١٦. في البحار: «من سيئته».
١٧. في البحار: «إلى الجنّة... إلى النار».

لا ينفد عذابها.[١]

[الشرح]

[القلعة: ضدّ الاستقرار][٢]، يقال هذا منزل قلعة، أي: ليس بمستوطن، ومجلس قلعة: إذا كان صاحبه غير مستقرٌ فيه ولا متمكّن، بل يحتاج إلى أن يقوم منه مرّة بعد مرّة.

والقلعة ـ أيضاً ـ: العارية، وفي الحديث: **بئس المال القلعة**[٣].

«العناء»: التعب والنصب.

نزع عن كذا نزوعاً: انتهىٰ عنه وكفّ. ونزع اليه نزاعاً: أي: اشتاق.

والمراد بنفوس السعداء هنا: قلوب الأتقياء والأبرار.

«انتزعت»، أي: اقتلعت.

«الكره» ـ بالضمّ ـ: المشقّة، وبالفتح: الإكراه، يقال: قمت على كره، أي: على مشقّة، وأقامني فلان بكذا على كره، أي: أكرهني على القيام، وقيل: هما لغتان بمعنى واحد. والمختار هو الفرق بينهما، وقد قرئ بهما قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾[٤] والمراد بهما: انتزاعهما من أيديهم بالموت.

«أرغبهم عنها»، أي: أقلّهم إرادة لها، يقال: رغب في الشيء: إذا أراده، ورغب عنه: اذا لم يُرِده.

«الغاشّة»: ضد الناصحة.

«انتصحها»، أي: قبل نصحها، يقال: نصحته فانتصح، أي: قبل النصح.

«المغوية»: المضلّة.

«الخاترة»: الغادرة، يقال: ختره: أي: غدر به، وقال الأزهري: «الختر: أقبح

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٨٥ عن أعلام الدين.

٢. الزيادة اقتضاها السياق.

٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٢٤٧.

٤. سورة الأحقاف، الآية ١٥.

الغدر»[١].

و«الفائز»: الناجي الظافر بالخير.

هوى فيها، أي: سقط، وهو كناية عن حبّها والإقبال عليها.

«طوبى»: سبق في الحديث الأوّل، و«التقوى» في الخامس عشر.

«ناصحه» أي: نصح له.

«تلفظه» أي: تلقيه، ومنه سمّي اللفظ؛ لأنّه يُلفَظ من الفم، أي: يلقى؛ قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾[٢]، أي: ما يلقي الإنسان من قول.

«الموحشة»: ضدّ المؤنسة، وهي صفة لمحذوف، أي: في بطن أرض موحشة، أو حفرة موحشة.

«غبراء»، أي: ذات غبار، وهي لون الغبار.

«مدلهمّة»: مظلمة، وقيل: شديدة الظلمة، وعلى الوجهين يكون قوله: «ظلماء» بعده، بياناً وإيضاحاً أو تأكيداً.

«ينشر»، أي: يحيي، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُ﴾[٣].

«لا ينفد»: لا يفنى ولا يفرغ.

[٣٣]

الحديث الثالث والثلاثون[٤]

عن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **يا معشر المسلمين[٥]، شمّروا فإنّ الأمر جدّ، وتأهّبوا فإنّ الرحيل قريب، وتزوّدوا فإنّ السفر بعيد، وخفّفوا أثقالكم فإنّ وراءكم**

---

١. نقل معناه العلامة المجلسي في البحار، ج ٦٤، ص ٣٧٦؛ وراجع: معاني القرآن للنحّاس، ج ٥، ص ٢٩٣.

٢. سورة ق، الآية ١٨.

٣. سورة عبس، الآية ٢٢.

٤. مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج ١٠، ص ٣٨١.

٥. في «ش» زيادة: «حديث معظمه الحثّ على التزوّد للآخرة وبيان فساد آخر الزمان».

٦. في الفتوحات المكية: ـ «يا معشر المسلمين».

عقبةً كؤوداً[۱] لا يقطعها إلاّ المخفّون.

أيها الناس، إنّ بين يدي الساعة أُموراً شداداً، وأهوالاً عظاماً، وزماناً صعباً، تتملّك[۲] فيه الظَّلَمة، وتتصدَّر فيه الفسقة، ويضام فيه[۳] الآمرون بالمعروف، ويضطهد فيه[۴] الناهون[۵] عن المنكر، فأعدّوا لذلك الإيمان [بالله تعالى][۶]، وعضّوا عليه[۷] بالنواجذ[۸]، والجؤوا إلى العمل الصالح، وأكرهوا عليه النفوس [واصبروا على الضرّاء][۹] تُفضوا إلى النعيم الدائم.[۱۰]

[الشرح]

«شمّروا»، أي: اجتهدوا في العمل الصالح، وخذوا بكلتا يديكم، كما يفعل من يشمّر إزاره وأطراف أكمامه لعمل يريد الإقبال عليه بكلتيه.

«فإنّ الأمر جدّ»، يعني: فإنّ أمر الآخرة جدّ، من البعث والحساب والجزاء بالثواب والعقاب. والجدّ: نقيض الهزل.

و«تأهّبوا» أي: استعدّوا.

ويريد بالرحيل: الانتقال بالموت من دار الفناء إلى دار البقاء.

«التزوّد»: سبق في الحديث الثالث.

ويريد ببعد السفر: كون منزل الإقامة الذي اليه السفر ـ وهو الجنة ـ لا يبلغه المسافر إلّا بزاد وافر من التقوى والعمل الصالح.

---

۱. في الفتوحات المكية: «كؤود»، وكؤود وكأداء: صعبة شاقّة المصعد.

۲. كذا في الفتوحات المكية، وفي غيرها: «يتملك».

۳. في «ش» والفتوحات المكية: «فيضطهد». وضامه يضيمه ضيماً: قهره وظلمه.

۴. في «ش»: «ويضام» وفي الفتوحات المكية: «ويضامون».

۵. في «خ»: «فيضطهد فيه الآمرون بالمعروف، ويضام الناهون».

۶. ما بين المعقوفتين من «ش».

۷. في «ش»: ـ«عليه».

۸. في «خ»: «النواجذ».

۹. ما بين المعقوفتين من «خ» والفتوحات المكية.

۱۰. بحار الأنوار، ج ۷۷، ص ۱۸۶ عن أعلام الدين.

«الأثقال»: جمع ثَقَل ـ بفتحتين ـ وهو متاع المسافر ومتاع البيت، وجمع ثِقل ـ أيضاً ـ بوزن حِمل؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾[١]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[٢]، أي: أجساد بني آدم، وقيل: كنوزها ودفائنها، قال الأزهري: «قال الأنباري: الثُّقل والثَّقَل بمعنى واحد، كالمِثْل والمَثَل، والشِّبه والشَّبه، والأثقال: جمع لهما»[٣]، والمراد بها في الحديث: الخطايا والأوزار، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[٤].

والمراد بتخفيف الأثقال: تقليل الذنوب والخطايا.

قوله: «وراءكم»، أي: أمامكم[٥]، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾[٦]؛ لأنّ العقبة اذا كانت أمام المسافر وقدّامه هي التي يخافها؛ لأنّه يحتاج إلى أن يقطعها، فأمّا التي تكون خلفه لا يبالي بها.

«الكؤود»: الشاقّة الصعد.

«المخفّ»: الخفيف الحال، يقال: أخفّ الرجل، إذا خفّ حاله.

«إنّ بين يدي الساعة»: أمامها و قبلها.

«الأهوال»: الأفزاع.

والمراد بالأمور الشداد والأهوال العظام: ما يَحدث في آخر الزمان من الفتن والبدع وفساد الناس.

«ضهده واضطهده»، أي: قهره واضطرّه إلى ما يكره. و«ضامه ضيماً»: ظلمه.

---

١. سورة النحل، الآية ٧.

٢. سورة الزلزلة، الآية ٢.

٣. راجع: تهذيب اللغة.

٤. سورة العنكبوت، الآية ١٣.

٥. في بحار الأنوار (ج ١٣، ص ٣١٠) عن تفسير العياشي، بالاسناد عن حريز، عن أبي عبد الله ﷺ أنّه كان يقرأ: ﴿وكان وراءهم ملك﴾ يعني أمامهم ﴿يأخذ كل سفينة غصبا﴾. بيان: قال الطبرسي ﷺ: ويستعمل وراء بمعنى القدّام أيضاً على الاتّساع؛ لأنّها جهة مقابلة لجهة، فكأنّ كلّ واحدة من الجهتين وراء الأخرى.

٦. سورة الكهف، الآية ٧٩.

«فأعدّوا لذلك الإيمان»: هيّؤوه للاستعانة علىٰ تلك الأُمور، واجعلوه عدّتها.

«وعضّوا عليه بالنواجذ»: كناية عن شدّة التمسّك به والاعتماد عليه. والنواجذ: آخر الأضراس، وهي أربعة، وتسمّىٰ: أضراس الحلم؛ لأنّها تنبت بعد البلوغ وكمال العقل.

«لجأ اليه والتجأ»، أي: عاذ به.

«والضرّاء»: الشدّة، والمراد بها: كلّ شدّة تصيب المؤمن في جنب الله تعالى.

«تفضوا الى النعيم الدائم»، أي: تنتهوا إلى نعيم الجنة.

[۳۴]

الحديث الرابع والثلاثون[۱] [۲]

عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول لرجل يعظه: **ارغب فيما عند الله يحبّك الله، وازهد عمّا في[۳] أيدي الناس يحبّك الناس، إنّ الزاهد في الدنيا يرتجى[۴] ويريح قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة، والراغب فيها يتعب قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة[۵]، ليجيئن أقوام ـ يوم القيامة ـ لهم حسنات كأمثال الجبال، فيؤمر بهم إلى النار.**

فقيل: يا نبيَّ الله، أمصلُّون[۶] كانوا؟

قال: **نعم[۷]، كانوا يصلّون ويصومون، ويأخذون وهناً من الليل، لكنّهم كانوا إذا لاح لهم شيء من أمر[۸] الدنيا وثبوا عليه.**[۹]

---

۱. روي هذا الحديث أو مقاطع منه مع اختلاف في الألفاظ في الكتب التالية: بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۱۸۶؛ ميزان الحكمة، ج ۲، ص ۱۱۷۴؛ أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ۳۴۳.

۲. في «ش»: + «حديث فيما يقرّب الى الله وإلى الناس، وأنّ الزهد وحبّ الدنيا لا يجتمعان».

۳. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: «فيما».

۴. لم ترد الكلمة في «خ» و «ش» والفتوحات المكية.

۵. في «ش» والفتوحات المكية: - «والراغب فيها يتعب قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة».

۶. في «خ»: «أو مصلّون»، وفي «ش»: «أو يصلّون»، وفي الفتوحات المكية: «أيصلّون».

۷. في «خ»: - «نعم» والعبارة في الفتوحات المكية هكذا: «أيصلّون قال كانوا...».

۸. في «خ» والفتوحات المكية: «أمر».

۹. بحار الأنوار، ج ۷۷، ص ۱۸۶، عن أعلام الدين.

[الشرح]

«الزهد»: سبق تفسيره في الحديث الثاني عشر.

«ليجيئن»: جواب القسم مضمر، تقديره: والله ليجيئنّ.

«أوَ مصلّون؟»، تقديره: أوَ هم مصلّون.

«الوهن» و «الموهن»: نصف الليل الأخير.

«إذا لاح»، أي: ظهر.

«وثبوا»: طفروا، وهذا الحديث دليل واضح على أنّ الإنسان لا ينجو من النار و لا يفوز بالجنة ـ وإن كان كثير صيام النهار و قيام الليل ـ مع حبّ الدنيا و صيدها اذا أمكنت، بل أصل الزهد وأساسه: بغض الدنيا والإعراض عنها وتركها عند القدرة.

[٣٥]

الحديث الخامس والثلاثون[١] [٢]

عن نافع[٣]، عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيها الناس، [إنّ] هذه [الدار][٤] دار تَرَح، لا دار فرح[٥]، ودار التواء[٦] لا دار استواء، [ومنزل ترح لا منزل فرح][٧] فمن عرفها لم يفرح لرخاء[٨]، ولم يحزن لشقاء، ألا وإنّ الله خلق الدنيا دار بلوى، والآخرة دار عقبى، فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ ليعطي،

---

١. كنز العمال، ج ٣، ص ٢١١.

٢. في «ش»: + «حديث معظمه في ذم الدنيا».

٣. في «خ» و «ش»: «عن نافع».

٤. الإضافتان من الفتوحات المكية.

٥. في الفتوحات المكية: ـ «دار ترح لا دار فرح و».

٦. في «خ»: «هذه الدار دار التواء»، وفي «ش» هكذا: «إنّ هذه الدنيا دار التواء»، ولم ترد: «هذه دار ترح لا دار فرح» في «خ» و «ش»، والالتواء، من ـ لوى يَلوي ليّا ـ: الحبل إذا فتله وثناه. والتوى التواء، مطاوع لوى.

٧. ما بين المعقوفتين من «خ» و «ش» والفتوحات المكية.

٨. كذا في «خ» والفتوحات المكية، وفي غيرهما: «الرجاء».

ويبتلي ليجزي، و[1] إنّها لسريعة الذهاب، و[2] وشيكة الانقلاب. فاحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها، واهجروا لذيذ عاجلها لكربة[3] آجلها، ولا تسعوا في عمرانها وقد[4] قضى الله خرابها، ولا تواصلوها وقد أراد الله منكم اجتنابها، فتكونوا لسخطه متعرّضين، ولعقوبته مستحقّين.[5]

[الشرح]

«الالتواء»: الاعوجاج، و«الاستواء»: الاستقامة.

«التَّرَح»: الحزن، والمعنى: أنّ الله تعالى جعلها دار بلاء وتعب ونصب، فأُمور الإنسان فيها لا تجري على ما يريده ويختاره، بل على ضدّ ذلك في الأعمّ الأغلب.

«الرخاء»: السعة وحسن الحال، وهو ضدّ: الشدَّة.

«البلوى»: الاختبار والامتحان بالنعمة وبالمكروه.

و «دار عقبى»، أي: دار جزاء، قال الجوهري: «العقبى جزاء الأمر، يقال: أعقبه بطاعته، أي: جازاه».

«العوض»: البدل، وفي الحديث: في الله عوض من كلّ فائت.[6]

«الوشيكة»: السريعة أيضاً.

قوله: «فاحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها»، معناه: لا تحبّوها ولا تميلوا إليها ولا تستحلُوها، فتألفوها ويتعلّق قلوبكم بها، ولابدّ لكم من فراقها، وهو أن يأتيكم الموت، فيصيبكم من ألم فراقها مثل ما يصيب الصبيَّ عند فطامه من الرضاع.

---

١. في «خ»: - «و».

٢. في المخطوطة والفتوحات المكية: - «و».

٣. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: «لكربه».

٤. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: «في عمران دار قد»، وفي البحار: «في عمارة قد».

٥. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٨٧ عن أعلام الدين.

٦. في شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي (ج ٩، ص ٤٠١) عن العلّامة البلاذري في أنساب الأشراف (ص ٥٦٤، ط/ دار المعارف، بمصر) قال: المدائني عن أبيه قال: قال الشعبي: لمّا قبض ﷺ سمعوا منادياً ينادي: في الله عوض كلّ فائت، وعزاء من كلّ مصيبة، المجبور من جبره الثواب، والمحروم من حرمه، فقال علي ؑ: هذا الخضر يعزّيكم عن نبيّكم.

«العمران»: العمارة.

«المواصلة»: ضدّ المقاطعة.

«الاجتناب»: التباعد عن الشيء.

«متعرّضين» أي: متصدّين.

[٣٦]

الحديث السادس والثلاثون[١]

عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول[٢]: أيها الناس، اتّقوا الله حقَّ تقاته، واسعوا في [طلب][٣] مرضاته، وأيقنوا من الدنيا بالفناء، ومن الآخرة بالبقاء، واعملوا لما بعد الموت؛ فكأنّكم بالدنيا لم تكن، وبالآخرة لم تزل[٤].

أيها الناس، إنَّ مَن في الدنيا ضيف، وما في أيديهم[٥] عارية[٦]، وإنّ الضيف مرتحل[٧]، والعارية مردودة. ألا وإنّ الدنيا عرض حاضر، يأكل منه البرّ والفاجر، والآخرة وعد صادق، يَحكم فيها ملك عادل[٨] قادر، فرحم الله امرءاً نظر[٩] لنفسه، ومهّد لرمسه، ما دام رَسَنه مرخىً،

---

١. روي هذا الحديث أو مقاطع منه مع اختلاف في الألفاظ في الكتب التالية: شرح الأزهار، ج ٣، ص ٤٢٥؛ بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٨٧؛ أدب الضيافة لجعفر البياتي، ص ٧٩ و ١٨٠؛ أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ٣٤٤؛ الفتوحات المكية، ج ٤، ص ٥٢٥.

٢. العبارة في «خ» و «ش» والبحار هكذا: «قال: قال رسول الله ﷺ».

٣. ما بين المعقوفتين من «ش».

٤. في الفتوحات المكية: «فكأنّ الدنيا لم تكن، وكأنّ الآخرة لم تزل».

٥. في «ش» والفتوحات المكية: «في يده».

٦. في كتاب العين، (ج ٢، ص ٢٣٩): العارية: ما استعرت من شيء؛ سمّيت به لأنّها عار على من طلبها، يقال: هم يتعاورون من جيرانهم الماعون والأمتعة. ويقال: العارية من المعاورة والمناولة. يتعاورون: يأخذون ويعطون.

٧. في «خ»: «وما في يده عارية، والضيف مرتحل».

٨. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: - «عادل».

٩. في «خ» والبحار: «ينظر».

وحبله على غاربه ملقىً، قبل أن ينفد أجله، وينقطع عمله[١].[٢]

[الشرح]

«التقاة»: مصدر، كالتقيّة، يقال: اتّقاه تقيّة وتقاة، وقد سبق تفسير «التقوى» في الحديث الخامس عشر، وجاء في التفسير: «إنّ اتّقاء الله حقّ تقاته: هو أن يُطاع ولا يُعصى، ويذكر ولا ينسى، ويشكر ولا يكفر» كذا رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله[٣].

وقيل: «حقّ تقاته»: هو أن لا تأخذه في الله لومة لائم، ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو أبيه أو ابنه.

وقيل: لا يتّقي اللهَ عبدٌ حقَّ تقاته حتى يخزن لسانه.

وقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[٤] منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[٥] عند بعض العلماء[٦]، وعند بعضهم: هو محكم غير منسوخ. والخلاف

---

١. في «خ» والفتوحات المكية: «ما دام رسنه مرخى، وحبله على غاربه ملقى، قبل أن ينفد أجله، فينقطع عمله»، وفي غيرهما هكذا: «ما دام رسنه مرخيا، وحبله على غاربه ملقيا، قبل أن ينفد أجله وينقطع عمله».

٢. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٨٧ عن أعلام الدين.

٣. راجع: المحاسن، ج ١، ص ٢٠٤، ح ٥٠، فقد رواه عن الإمام الصادق عليه السلام.

٤. سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

٥. سورة التغابن، الآية ١٦.

٦. في تفسير القمي (ج ١، ص ١٠٨)، ما نصّه: «والاستطاعة هي القوّة والزاد والراحلة، وقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ فإنه منسوخ بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾». وفي بحوث في تاريخ القرآن وعلومه للسيد مير محمدي الزرندي (ص ٢٠٩ ـ ٢١١) ما نصّه:

«المورد الخامس: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾. قال في الإتقان: قيل: إنّه منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾... الآية. وقال ابن العتائقي في جملة ما قال: فقالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، ما حقّ تقاته؟ فقال: أن يطاع ولا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر. قالوا: ومن يطيق ذلك؟ ونسخها قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾. وعدّها في تفسير النعماني مما رواه عن علي عليه السلام من المنسوخات. ونجد في قبال هؤلاء من يقول بعدم النسخ، كالشيخ الزرقاني، حيث

في ذلك بناء على الخلاف في تفسير ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، فمن فسّره بما روي عن النبي ﷺ جعله منسوخاً بقوله تعالى: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[1]؛ لأنّ الأوّل غير داخل في الوسع والطاقة. ومن فسّره بغاية الوسع والطاقة، جعله محكماً، وجعل قوله تعالى: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ مفسّراً له لا ناسخاً.

و ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ منصوب على المصدر، تقديره: تقاةً حقّاً، أو تقاةً حقّ تقاته، نظيره قولك: ضربته أشدّ الضرب، أي: ضرباً شديداً، أو ضربته ضرب الأمير، أي: ضرباً مثل ضرب الأمير.

قال في مناهل العرفان ما حاصله: إنّها غير منسوخة؛ فإنّ معنى تقوى الله حق تقاته هو الإتيان بما يستطيعه المكلّفون، دون ما خرج عن استطاعتهم، وعلى هذا فلا تعارض بين الآيتين، بل تكون إحداهما مفسّرةً للأخرى، فلا نسخ. ولكنّ الذي يبدو لنا هو أنّ المستفاد من قوله: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ أمر أعظم وأشدّ مما يستفاد من قوله تعالى: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، وكأن الآية الأولى تدلّ على أنه يجب تحصيل ما أراده الله تعالى وأحبّه، وترك ما نهى عنه وأبغضه بأيّ وجه أمكن وبأيّ طريق، فلابد من أن يتحرز المكلف من النسيان والغفلة، ولو بالاحتياطات الشاقة التي تمنع ذلك، ومعلوم أنّ هذا أمر صعب جدّاً. وأما الآية: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ فهي تخفّف ذلك، وتقول: إننا الآن نطلب منكم قدر وسعكم، أي بمقدار الوسع العرفي لا العقلي. فحينئذٍ يكون بين الآيتين تعارض، فلابد من القول بالنسخ. وهذا المعنى هو الذي يظهر من كل مورد وقع فيه نظير هذا التعبير، كقوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، وقوله سبحانه: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾. وكقول الإمام ﷺ لمعاوية بن وهب: يا معاوية، ما أقبح بالرجل يأتي عليه سبعون سنة أو ثمانون سنة يعيش في ملك الله ويأكل نعمته ثم لا يعرف الله حق معرفته. ومن المعلوم أن معاوية بن وهب ـ مع جلالته وعظم شأنه ـ لم يكن يفقد المعرفة المتعارفة بالله ﷻ، وإنما استحقّ العتاب منه ﷺ بسبب عدم وصوله إلى حق المعرفة التي ترتفع عن مستوى المعرفة المتعارفة. إذن، فيستفاد من كلمة ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ درجة من التقوى تزيد على الدرجة التي تستفاد من قوله: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾. فتكون هذه ناسخة لتلك. هذا بالإضافة إلى أنه قد روي عدد من الروايات الدالة على النسخ في هذه الآية عن أئمة الهدى ﷺ، ونحن نذكر على سبيل المثال ما رواه السيد هاشم البحراني بسند صحيح عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله ﷻ ﴿اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ قال: يطاع ولا يعصى، ويذكر ولا ينسى، ويشكر ولا يكفر. وما رواه أيضاً في حديث آخر أنه ﷺ قال: ﴿اتَّقُواْ اللَّهَ﴾ منسوخة، قلت: وما نسخها؟ قال: قول الله: ﴿اتَّقُواْ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾. إلى غير ذلك من الروايات الدالة على النسخ عن أهل البيت ﷺ.

١. سورة التغابن، الآية ١٦.

«المرضاة»: الرضا، وقد سبق تفسيره في الحديث السادس، وسبق تفسير «اليقين» في الحديث السادس عشر.

و «العَرَض» ـ بفتحتين ـ: حطام الدنيا ومالها، قلّ أو كثر. وقال صاحب الغريبين: «هو طمع الدنيا وما يعرض منها»[1]، وهذا أعمّ من الأوّل؛ لأنّه يعمّ اللذّات والأموال والمنافع كلّها، ومنه قوله تعالى: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾[3]؛ وإنما سمّي عرضاً لأنّ المال لا يبقى على أحد، بل هو سريع الانتقال من مالك إلى مالك كالأعراض القائمة بالجواهر على قول من لا يرى بقاءها زمانين، وعلى قول من يرى بقائها زمانين أيضاً؛ لأنّه يرى فناءها بفناء الجواهر التي هي محالّها، وكما أنّ الجواهر والأجسام التي في الدنيا تفنى وتتلاشى، كذلك الدنيا عند قيام الساعة تفنى وتتلاشى.

وقوله: «وعداً»، أي: موعوداً، والمصدر بمعنى المفعول، كما في قولهم: «شيء ردّ» أي: مردود، وضرب الأمير، ونسج اليمن.

«نظر له» أي: رحمه. ونظر إليه، أي: رآه. ونظره، أي: انتظره، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[4]، ونظر فيه: أي: تأمّل وتفكّر. ونظره: أي: قابله، ومنه قولهم: داري ناظرة إلى داره، أي: مقابلة لها، فهذه خمسة أوجه.

ونظر الإنسان لنفسه: هو ان يشتغل بإصلاح آخرته بالتقوى والأعمال الصالحة، ويقطع علائق حب الدنيا من قلبه بقدر الإمكان.

«التمهيد» سبق في الحديث الثاني والعشرون. و «الرمس» في الحديث الحادي عشر.

«الرسن»: الحبل الغارب ما بين السنام والعنق، وإرخاء الرسن: إلقاء الحبل على الغارب. كلاهما كناية عن الإطلاق والتخلية، ومنه قولهم في كنايات الطلاق: «حبلك

---

١. نقل معناه: الطريحي في تفسير غريب القران، ص ٣٣٥، وراجع: الغريبين للهروي.
٢. سورة الأعراف، الآية ١٦٩.
٣. سورة التوبة، الآية ٤٢.
٤. سورة الحديد، الآية ١٣.

على غاربك»، أي: اذهبي حيث شئت، وأصله: أنّ الناقة اذا رَعَتْ وعليها الخطام أُلقي على غاربها؛ لتتهنّأ بالمرعى؛ فإنّها إذا رأته ينجرّ معها تنفر ولا تتهنأ، فالمعنى: أنّ الإنسان مادام حيّاً فهو مطلق في الأعمال الصالحة متمكن منها، لا سيّما إذا انضمّ إلى ذلك كونه شابّاً معافاً فارغاً، فليغتنم النعمة؛ فإنّه لا يدري متى يقيّد عنها بقيد فيندم ولا ينفعه الندم. «ينفد»: يفرغ.

والأجَل: مدّة الحياة.

[٣٧]

الحديث السابع والثلاثون[١]

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ[٣] لرجل وهو يوصيه: **أقلل من الشهوات يسهل عليك الفقر، وأقلل من الذنوب يسهل عليك الموت، وقدِّمْ مالك أمامك يسرّك[٤] اللحاق به، واقنع بما أُتيته[٥] يخفّ عليك الحساب، ولا تتشاغل عمّا قُرض عليك بما قد ضمن لك؛ فإنّه ليس بفائتك ما قد[٦] قسم لك، ولست بلا حق ما قد زوي[٧] عنك، فلا تك[٨] جاهداً فيما يصبح[٩] نافداً، واسعَ لمُلك لا زوال له، في منزل لا انتقال عنه.**[١٠]

---

١. روي هذا الحديث أو مقاطع منه مع اختلاف في الألفاظ في الكتب التالية: بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٨٧؛ مستدرك سفينة البحار، ج ١٠، ص ٣٨٢؛ أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ٣٤٢؛ الفتوحات المكية، ج ٢، ص ٥٤٠.

٢. في «ش»: + «جامع لمعانٍ شتّى».

٣. في «خ»: «قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول».

٤. في «خ»: - «يسرك».

٥. واقنع بما أُوتيته» وهو الصحيح.

٦. في «ش»: - «قد».

٧. زوى الشيء يزويه زوياً: نحاه وصرفه، وجمعه، وقبضه.

٨. في «خ»: «فلا تكن».

٩. في أعلام الدين: «يصبح»، وفي البحار: «أنصح»، وكلاهما تصحيف.

١٠. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٨٧ عن أعلام الدين، وهذا الحديث لم يرد في الفتوحات المكية.

[الشرح]

لا شك أنّ من راضَ نفسه وعوّدها القناعة وتقليل الشهوات، يسهل عليه الفقر؛ لأنّه لا يبقى له من الحوائج إلّا الحوائج الأصلية، وهي زاوية يسكنها، و خرقة يستر بها عورته، وكسرة يسدّ بها جوعته. وكذا من اعتاد اجتناب المعاصي وصار قليل الذنوب، لا يصعب عليه الموت كما يصعب على المستغرق في المعاصي المنهمك فيها؛ لأنّ معالجة سكرات الموت على المطيعين أخفّ وأسهل منها على العاصين.

«القناعة بالشيء»: الرضا به.

قوله: «ليس بفائتك ما قسم لك»، أي: كل ما قسم الله للإنسان وكتبه رزقاً له لا يفوته منه ذرّة بتركه السعي والطلب، ولا يزداد عليه ذرّة بشدّة سعيه وطلبه.

«زوي»: جمع و قبض، يعني: أنّ الإنسان لا يلحق بحرصه واجتهاده شيئاً منعه الله عنه ولم يقسمه له، كما قلنا.

قوله: «فلا تك جاهلاً فيما يصبح نافذاً»، معناه: أنّه لو قدّر أنّ الجهد والحرص تفيد زيادة الرزق ـ مع أنّه لا محالة ينفد ويفنى ـ كان العقل يقتضي أن لا يضيع العمر ـ الذي هو من أعزّ الأشياء ـ في تحصيل الفاني، بل في اقتناء الباقيات الصالحات.

«الملك الذي لا زوال له»: هو نعيم الجنّة وثوابها.

و«المنزل الذي لا انتقال عنه»: هو الجنة.

[۳۸]

الحديث الثامن والثلاثون[۱]

عن ابن عبّاس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إنّه ما سكن حبُّ الدنيا قلب عبد إلّا**

---

۱. روي هذا الحديث أو مقاطع منه مع اختلاف في الألفاظ في الكتب التالية: بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۱۸۸؛ الدر المنثور، ج ۲، ص ۳۱؛ تاريخ مدينة دمشق، ج ۴۷، ص ۴۲۹؛ أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ۳۴۵؛ الفتوحات المكية، ج ۴، ص ۵۴۰.

التاط فيها بثلاث[١]: شغل لا ينفد[٢] عناؤه، وفقر لا يدرك غناه[٣]، وأمل لا ينال منتهاه، ألا[٤] إنّ الدنيا والآخرة طالبتان ومطلوبتان، فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل رزقه، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يأخذ الموت بعنقه[٥]، ألا وإنّ السعيد مَن اختار باقية يدوم نعيمها، على فانية لا ينفد عذابها، وقدّم لما يقدّم عليه ممّا هو [الآن][٦] في يديه، قبل أن يخلفه لمن يسعد بإنفاقه، وهو قد شقي بجمعه واحتكاره[٧].[٨]

[الشرح]

الضمير في قوله: «إنّه»، ضمير الشأن والأمر.

«التاط»، أي: التصق، وفاعله: القلب. ومعناه: إلّا التصق قلبه من حبّ الدنيا بثلاث. يقال: لاط الشيء بقلبه يلوط لوطاً ويليط ليطاً، أي: التصق، واللوط واللّيط: الحب اللازق بالقلب، وهذا أمر لا يلتاط بصفري، أي: لا يلتصق بقلبي.

وقوله: «بثلاث» أي: بثَلاث خصال، أو خلال.

ويجوز في «شغل وفقر وأمل» الجرّ؛ على أنّها عطف بيان، والرفع؛ على أنّها خبر مبتدأ محذوف، تقديره: «أحدها شغل، والثاني فقر، والثالث أمل».

وقوله: «إنّ الدنيا والآخرة طالبتان و مطلوبتان»، يعني: إنّ الدنيا تطلب أبناء الآخرة، ويطلبها أبناؤها، فصارت طالبة ومطلوبة. والآخرة تطلب أبناء الدنيا ويطلبها أبناؤها، فصارت أيضاً طالبة ومطلوبة.

---

١. في «خ»: «منها ثلاث»، و في «خ»: - «التاط».

٢. في «خ»: «لا ينفك».

٣. في «خ»: «غناؤه».

٤. في «خ» و «ش»: - «ألا».

٥. في البحار: «حتى يأخذه الموت بغتة».

٦. ما بين المعقوفتين من «خ».

٧. في أعلام الدين والبحار: «وقد شقي هو بجمعه».

٨. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٨٨، عن أعلام الدين، وهذا الحديث لم يرد في الفتوحات المكية.

والمراد بالباقية التي يدوم نعيمها: الآخرة، وبالفانية التي لا ينفد عذابها: الدنيا.

والمراد بعذابها: عذاب جهنم، وإنّما أُضيف إلى الدنيا لحصوله بسبب الذنوب والخطايا المتولّدة من حبّها.

«الاحتكار»: الحبس، ومنه: احتكار الطعام.

[۳۹]

الحديث التاسع والثلاثون[1]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ألا إنّ الدنيا[2] قد ارتحلت مدبرةً، والآخرة قد احتملت[3] مقبلةً؛ ألا وإنّكم في يوم عمل ولا حساب فيه[4]، ويوشك أن تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل، ألا وإنّ الله تعالى يعطي الدنيا من يحبُّ ويبغض، ولا يعطي الآخرة إلاّ لمن[5] يحبّ، وإنّ للدنيا أبناء وللآخرة أبناء، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا [فإنّ كل ولد يتبع أمّه][6]. إنّ شرّ[7] ما أتخوّف عليكم اتّباع الهوى وطول الأمل، فاتّباع الهوى يصرف قلوبكم[8]

۱. روي هذا الحديث أو مقاطع منه مع اختلاف في الألفاظ في الكتب التالية: المحاسن، ج ۱، ص ۲۱۷؛ كتاب المؤمن، ص ۲۷؛ الكافي، ج ۲، ص ۲۱۴ و ۲۱۵؛ كتاب التمحيص، ص ۵۱؛ فضائل الشيعة، ص ۳۴ و ۳۹؛ تحف العقول، ص ۳۰۰ و ۳۷۴؛ شرح أصول الكافي للمازندراني، ج ۹، ص ۱۱۴؛ مستدرك الوسائل، ج ۵، ص ۱۹۴؛ بحار الأنوار، ج ۶۵، ص ۲۰۲ـ۲۰۴ و ج ۷۰، ص ۱۲۷ و ج ۷۴، ص ۱۸۸ و ج ۷۵، ص ۲۵۹ و ج ۹۰، ص ۳۶۸ و ج ۱۱۰، ص ۱۹؛ إكليل المنهج في تحقيق المطلب للخراساني، ص ۳۹۷ و ۶۰۸؛ أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ۳۴۵ و ۴۳۶؛ جامع السعادات، ج ۳، ص ۲۷؛ الفتوحات المكية، ج ۴، ص ۵۴۵.

۲. في «خ»: + «و»، وفي الفتوحات المكية: - «ألا».

۳. في «خ»: «قد تحملت»، وفي «ش»: «تحلّت»، وفي الفتوحات المكية: «قد تجمّلت».

۴. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: «وإنّكم في يوم عمل ليس فيه حساب».

۵. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: «من».

۶. ما بين المعقوفتين من «ش».

۷. في «ش»: «أشدّ».

۸. في «خ»: «يصدف بقلوبكم»، وفي الفتوحات المكية: «بقلوبكم».

عن الحقّ، وطول الأمل يصرف هممكم إلى الدنيا، وما بعدهما لأحد من خير يرجاه في[1] دنيا ولا آخرة.[2]

[الشرح]

«الارتحال» و «الرحيل»: السفر، و «التحمّل» و «الاحتمال»: السفر أيضاً؛ قال امرؤ القيس:

كأنّ غداة البين يوم تحمّلوا لدى سمرات الحيّ ناقف حنظل[3]

«يوشك» أي: يسرع. يقال: هذا ابن كذا وبنته وأبوه وأُمّه: اذا كان ملازماً له مصاحباً، ومنه: أبناء الدنيا، وهم الملازمون لها المصاحبون بقلوبهم وأعمالهم، وأبناء الآخرة كذلك.

«تخوّف عليه كذا»، أي: خاف عليه منه.

«الهوى»: ميل النفس وشهواتها.

«يصرف»، أي: يردُّ ويمنع، والباء في «بقلوبكم» زائدة.

وقوله: «ما بعدهما لأحد خير في الدنيا والآخرة» أي: ما يجد أحد بعد اتّباع الهوى وطول الأمل خيراً، لا من الدنيا ولا من الآخرة؛ لأنّه يكون في مشقّة الدنيا ومحنتها، ثمّ يلحقه عذاب ذلك ووباله في الآخرة.

[٣٠]

الحديث الأربعون[4]

عن الزهري[5] عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: ما من بيت إلاّ وملك

---

١. في «ش»: «من». في الفتوحات المكية: «وما بعدهما لأحد خير من دنيا».

٢. بحار الأنوار، ٧٧، ص ١٨٨، عن أعلام الدين.

٣. راجع: الصحاح، ج ٤، ص ١٤٣٥ ولسان العرب، ج ٩، ص ٣٣٩.

٤. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٨٨ و ج ٧٩، ص ١٨٤؛ مستدرك الوسائل، ج ٢، ص ٤٤٦.

٥. في «خ» و «ش»: - «عن الزهري».

الموت يقف على بابه [في][۱] كل يوم خمس مرّات، فإذا وجد الإنسان قد نفد أجله وانقطع أُكُله[۲] ألقى عليه [غمّ][۳] الموت، فغشيته كرباته[۴]، وغمرته غمراته[۵]، فمن أهل بيته الناشرة شعرها، والضاربة وجهها، والصارخة بويلها، والباكية بشجوها[۶]، فيقول ملك الموت: ويلكم، ممّ الفزع؟ وفيم الجزع؟[۷]، والله[۸] ما أذهبت لأحد منكم مالاً[۹]، ولا قرّبت له أجلاً، ولا أتيته حتى أُمرت، ولا قبضت روحه حتى استأمرت، وإنّ لي إليكم[۱۰] عودة ثم عودة[۱۱]، حتى لا أُبقي منكم أحداً.

ثم[۱۲] قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي[۱۳] بيده، لو يرون مكانه، ويسمعون كلامه، لذهلوا عن ميّتهم، وبكوا على نفوسهم[۱۴]، حتى إذا حُمل الميّت على نعشه، رفرف روحه فوق النعش، وهو ينادي: يا أهلي وولدي لا تلعبنّ بكم الدنيا[۱۵] كما لعبت بي، جمعت المال[۱۶] من

---

۱. ما بين المعقوفتين من «ش».

۲. في «خ»: «قد نفد أُكله وانقطع أجله»، وفي الفتوحات المكية: «قد نفد أُكله وجاء أجله».

۳. ما بين المعقوفتين من «خ» والفتوحات المكية.

۴. الكرب: المشقّة والشدّة.

۵. في «ش»: «علزاته»، وفي «خ» والفتوحات المكية: «عكراته»، وغمرات الموت: شدائده ومكارهه، وأصل الغمرة: الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطّيها. والعلزات، جمع علزة، وهو قلق وخفّة وهلع يصيب الإنسان، يقال: مات فلان علزاً، أي وجعاً قلقاً لا ينام.

۶. في «خ»: «الناشرة شعرها، الضاربة وجهها، الباكية لشجوها، الصارخة بويلها»، وفي «ش» والفتوحات المكية: «... والضاربة وجهها، والباكية لشجوها، والصارخة بويلها».

۷. في «خ»: «وفيما الجزع؟»، وفي البحار: «ممّ الجزع ؟ وفيم الفزع؟».

۸. في «ش»: «فوالله».

۹. في «خ»: «ورقاً»، وفي «ش» والفتوحات المكية: «لواحد منكم رزقاً».

۱۰. في «ش»: «فيكم».

۱۱. في «خ» و«ش» والفتوحات المكية: «وإنّ لي فيكم عودة ثم عودة».

۱۲. في «ش»: - «ثمّ».

۱۳. في «خ» و«ش» والفتوحات المكية: «فقال النبي ﷺ: فوالذي نفس محمّد».

۱۴. في «خ»: «ولبكوا على أنفسهم»، وفي «ش» والفتوحات المكية: «ولبكوا على نفوسهم».

۱۵. في «خ»: «ويا ولدي لا تغرنّكم»، وفي الفتوحات المكية: «ويا ولدي لا تلعبنّ بكم».

۱۶. كذا في الفتوحات المكية، وفي غيرها: «جمعته».

حلّه ومن غير حلّه، وخلّفته[١] لغيري، فالمهنأ له[٢]، والتبعات[٣] عليّ، فاحذروا مِن مثل ما نزل بي[٤].[٥]

قد ختمنا هذا الجزء المتضمّن ما ضمّنّاه وعمدناه[٦] بحديث في الموت الذي هو آخر جمعنا ومنتهاه.

[الشرح]

«مِن» تزاد بعد النفي، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللهِ رِزْقُهَا﴾[٧]، أي: وما من دابّة، كذا هنا، المعنى: ما ثبت.

«نفد»: فنى.

«الأُكُل» -بضم الهمزة-: المأكول، والمراد به هنا: الرزق المقسوم له.

«غشيته»، أي: جاءه وأصابه.

«الكربات»: جمع كربة، وهي الغمّ الذي يأخذ بالنفس، وكذا الكَرْب بوزن الضرب.

«العلزات»: جمع «عَلْزةٍ»، كالغمرات جمع غَمرة، والسكرات جمع سكرة، والعلز: قلق وخفّة وهلع يصيب الإنسان، وهو من باب ضرب، ويقال: مات فلان علزاً، أي: وجعاً قلقاً لا ينام.

---

١. في «خ» و «ش»: «وغير حلّه، ثمّ خلّفته».

٢. في البحار: «والمهنأ له»، وفي «ش» والفتوحات المكية: «فالمهناة»، والهناء: اللذة، يقال: تهنأ بالطعام: إذا ساغ له ولذّ.

٣. في «ش» والفتوحات المكية: «والتبعة».

٤. في «خ» و «ش» والفتوحات المكية: «فاحذروا مثل ما حل بي».

٥. بحار الأنوار ج ٧٧ ص ١٨٨ عن أعلام الدين. في «خ»: + «قال السيد الشريف ﷺ».

٦. كذا في «خ»، ولعل الصحيح: «وتممناه».

٧. سورة هود، الآية ٦.

«الشجو»: الهم والحزن.

«الصارخة»: المصوّتة.

و«الويل»: الحزن، وقيل: المشقّة من العذاب، وهي كلمة ضجر يخاطب بها كلُّ واقع في هلكة أو عذاب.

«استأمر»، أي: طلب الأمر.

«ذهل عنه»، أي: نسيه وغفل عنه.

«النعش»: سرير الميّت اذا كان عليه الميّت، فإذا لم يكن عليه الميّت فهو: سرير.

رفرف الطائر: إذا حرّك جناحيه حول الشيء، يريد أن يقع عليه.

«يا ولدي»، أي: يا أولادي؛ لأنّ لفظ «الولد» يطلق على الواحد وعلى الجمع.

«خلّفه»: تركه خلفه بعد موته.

«فالمهنأة»، أي: التنعّم والتمتّع بذلك المال.

«التبعة»: الإثم.[1]

---

۱. وجاء فی ترقيمة نسخة النمازية: والحمد لله ربّ العالمين وقع الفراغ من تسويده ـ بعون الله وحسن توفيقه ـ في أواخر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وستمئة في بلدة بخارىٰ.

[الخاتمة]

ونسأل الله ربّ العالمين أن يجعلنا لذلك مستعينين[١]، ولزاد الرحلة معدّين، وأن يوفّقنا لتوبة نصوح ينصح بتقديمها نفوسنا، ويحطّ بالمسارعة إليها من ظهورنا أوزارنا، قبل أن يحلّ بنا الموت، ونحن لأثواب الغفلة لابسون، وفي غمرات بحار طلب الدنيا غانمون[٢]، فتشتمل جوانحنا على زفرات الندم، قد أخذ الموت منا بالكظم[٣]، فلا يغني عنّا ما اقتنينا فادّخرناه إلّا صالح عمل أسلفناه وقدّمناه وبالله الثقة، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

و هذه الأربعون الحديث المباركة تأليف الفقير الى عفو ربّه: ابو العبّاس أحمد بن علي الشروري ـ تغمّده الله برحمته ـ وصلم[٤].

---

١. كذا في «خ»، ولعل الصحيح: «مستعدين».

٢. كذا في «خ»، ولعل الصحيح: «غامرون».

٣. الكظم: مخرج النفس. (القاموس، ج ٤، ص ١٧٢ «كظم»).

٤. كذا، ولعله اختصار: «وصلى الله على محمد وآله وسلم».

أهمّ المصادر

القرآن الكريم

إعانة الطالبين، البكري الدمياطي، ٤ ج، الطبعة الأولى، ١٤١٨ق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان.

الأسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودي، تقديم: السيد عادل العلوي، الثانية، ١٤٢٠ق، مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة لفاطمة المعصومةﷺ للطباعة والنشر، قم.

أعلام الدين، للديلمي، الطبعة مؤسسة آل البيتﷺ لإحياء التراث، قم.

ألف حديث في المؤمن، الشيخ هادي النجفي، الطبعة الأولى، ١٤١٦ق، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

بحار الأنوار، العلامة المجلسي، تصحيح السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، الطبعة الثالثة المصححة، ١٤٠٣ق، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان وتصحيح عبد الرحيم الرباني الشيرازي، الطبعة الثالثة المصححة، ١٤٠٣ق، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، و الطبعة مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان.

بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، السيد مير محمدي زرندي، الطبعة الأولى، جمادى الأولى ١٤٢٠ق، الطبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

تاريخ الطبري، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، الطبعة دار صادر، بيروت ـ لبنان.

تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق علي شيري، ١٤١٥ق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان.

تحف العقول، ابن شعبة الحراني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، ١٣٦٣ش، ١٤٠٤ ش، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

تخريج الأحاديث والآثار، عبد الله بن عبد الرحمن السعد الزيعلي، الطبعة الأولى ١٤١٤ دار ابن خزيمة، الرياض.

تفسير السمرقندي، أبو الليث السمرقندي، د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

تفسير القرطبي، أحمد عبد العليم البردوني، ١٤٠٥ق.

تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، تصحيح وتعليق وتقديم: السيّد طيّب الموسوي الجزائري، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ق، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، منشورات مكتبة الهدى، قم ـ إيران.

تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ق، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم.

تهذيب الكمال، لمزي، تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور بشّار عوّاد معروف، الطبعة الأولى ١٤١٣ق، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان.

جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، المطبعة العلمية، منشورات مدينة العلم، آية الله العظمى الخوئي، قم ـ إيران.

جامع السعادات، محمد مهدي النراقي، تحقيق وتعليق: السيد محمد كلانتر، تقديم: الشيخ محمد رضا المظفر، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف.

الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان.

رسائل المرتضى، الشريف المرتضى، تقديم: السيد أحمد الحسيني، إعداد: السيد مهدي الرجائي، ١٤٠٥ق، دار القرآن الكريم، قم.

روضة الواعظين، الفتّال النيسابوري، تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن

الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم.

سبل الهدى والرشاد، الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى، ۱۴۱۴ق، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق وترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان.

شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي، تعليق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم ـ إيران.

شرح أُصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني، مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، الطبعة الأُولى، ۱۴۲۱ق، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام، حسن السيد علي القبانچي، الطبعة الثانية، ۱۴۰۶ق، مؤسسة إسماعيليان، قم.

شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار إحياء التراث العربي.

العهود المحمدية، الشعراني، الطبعة الثانية، ۱۳۹۳ق، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي، تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقي، الطبعة الأُولى، ۱۴۰۳ق، مطبعة سيد الشهداء، قم.

الفتوحات المكية، ابن العربي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي.

فيض القدير في شرح الجامع الصغير، المناوي، تصحيح أحمد عبد السلام، الطبعة الأُولى، ۱۴۱۵ق، دار الكتب العلمية، بيروت.

الكافي، الشيخ الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الرابعة، ۱۳۶۵ش، دار الكتب الإسلامية، طهران.

الكامل، عبد الله بن عدي، قراءة وتدقيق: يحيى مختار غزاوي، الطبعة الثالثة،

١٤٠٩ق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان.

كتاب الطهارة، السيد الخميني، أشرف على طبعه وعنى بتصحيحه: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مطبعة مهر، قم.

كتاب المجروحين، ابن حبّان، محمود إبراهيم زائد، دار الباز للنشر والتوزيع، عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.

كشف الخفاء، العجلوني، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ق، دار الكتب العلمية، بيروت.

الكشف الحثيث، سبط ابن العجمي، تحقيق وتعليق: صبحي السامرائي، الطبعة الأولى ١٤٠٧ق، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت ـ لبنان.

كنز الفوائد، أبو الفتح الكراجكي، الثانية، ١٣٦٩ش، مكتبة المصطفوي، قم، طبعة حجرية.

لسان الميزان، ابن حجر، الطبعة الثانية، ١٣٩٠ق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

المجموع، محيي الدين النووي، ٦٧٦، ٢، فقه المذهب الشافعي، دار الفكر.

مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الثانية، ١٤٠٨ق.

مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، تحقيق: الشيخ حسن بن علي.

مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، الطبعة الثانية، دار المأمون للتراث.

مشكاة الأنوار، علي الطبرسي، مهدي هوشمند، الطبعة الأولى ١٤١٨، قم، دار الحديث.

معدن الجواهر، أبو الفتح الكراجكي، السيد أحمد الحسيني، الطبعة الثانية، ١٣٩٤ق، قم، مهر أستوار.

مغني المحتاج، محمد بن أحمد الشربيني، ١٣٧٧ق، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

الموضوعات، ابن الجوزي، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان،

الطبعة الأُولی ۱۳۸۶ق، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

ميزان الاعتدال، الذهبي، علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان.

نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحلواني، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأُولی، ۱۴۰۸ق، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة.

نهج البلاغة، السيد الشريف الرضي، شرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة الأُولی، ۱۴۱۲ق، النهضة، دار الذخائر، قم.

وسائل الشيعة، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية، ۱۴۱۴ق، مهر، قم.